أشواق داغستان

د محمد حبش

مركز الدراسات لبحوث التنوير والحضارة

بسـم الله الرحمن الرحيم

مـدخـــل

بدأ فن المديح النبوي متأخراً نسبياً، ولم يسجل للشعراء في العصر الإسلامي والأموي وكذلك في أول العصر العباسي قصائد في المديح النبوي، باستثناء ماكان يلقيه شعراء الدعوة الإسلامية بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم من قصائد.

وشعراء الدعوة الإسلامية كحسان بن ثابت وكعب بن زهير وكعب بن مالك لم يكونوا يتعاملون في مسألة المديح النبوي على أساس أنه فن مستقل بقدر ما كان ذلك غرضاً من أغراض القصيدة الذي يدرجه النقاد عادة في باب المديح والفخر وشعر الملاحم.

ولم يكن إعراض الأولين عن الإشتغال بفن المديح النبوي بسبب سوء رأيهم فيه، بل كان بسبب تهيبهم لمقام النبي ، وإشفاقهم من المثول في حضرته الشريفة، سيما إذا لاحظنا ما كان يصاحب فن المديح آنئذ من تكسب الشعراء وابتذالهم، وامتداح للفسقة والظلمة.

ولهذه الغاية كان أبو نواس يعتذر لأصحابه إذا سألوه أن يكتب في المديح النبوي، ويقول: والله ما بلغ شاعر الكسب والخمرة والنساء أن يتطاول إلى مقام النبي صلى الله عليه وسلم، فكان يرى مقام النبي أبعد من أن يرقى نحوه، وأمنع من أن يتسامى إليه.

ولكن فن المديح النبوي نهض على قدميه وتبوأ محله في الأدب العربي في مطلع القرن السابع الهجري، وكان عميد هذه النهضة بلا ريب، هو شاعر المديح النبوي شرف

الدين محمد بن سعيد البوصيري الصنهاجي، المتوفى عام 694هـ، وقد أوتي البوصيري لغةً جزلةً قوية، ورزق الوقوف على أدق المعاني وألطفها بألفاظ متخيرة موفقة، وليس يعرف في الأدب العربي رجل أوتي القدرة على نظم الشعر في المحاورة والجدل والإفحام في أعقد المسائل النظرية كالبوصيري، وبوسعك أن تقرأ بهذا المعنى لاميته التي مطلعها:

جاء المسيح من الإله رسولا فأبى أقل العالمين عقولا

وقد خصصها لمحاورة النصارى من كتبهم، وأكثر الإستشهاد بأقوالهم وأسمائهم إلى حد فريد، من غير أن يسيء أية أساءة إلى رونق القصيدة وألقها وعذوبتها.

وبعد جولة طويلة من شعر المديح والتكسب، أقلع البوصيري عن ذلك كله، ووقف حياته كلها بعدئذ على نظم قصائده في المديح النبوي، وأفرغ فيها عاطفة صادقة، جرت بلسان عجنته المحبة، فكانت رائعتاه الخالدتان: الميمية التي أسماها: (الكواكب الدرية في مدح خير البرية) والتي مطلعها:

أمنْ تذكُّر جيرانٍ بذي سلم مزجتْ دمعاً جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بدمِ

وقصيدته (الهمزية) التي مطلعها:

كيفَ تَرقَى رقيّكَ الأنبياء يا سماءً مَا طَاولَتها سَماء

وقد راجت القصيدتان رواجاً عظيماً حتى صارتا كالأم التي أثمرت هذا الفن الأدبي الغزير.

وكثرت التشطيرات والتخميسات والتربيعات والمعارضات [1] لقصيدة البردة حتى قال أحمد شوقي في نهج البردة التي عارض[2] فيها بردة البوصيري:

المادحونَ وأربابُ الهوى تبعٌ لصاحب البردة العصماء في القدم

أستغفرُ الله... إني لا أعارضهُ مَن ذا يعارضُ صوبَ العارضِ العَرِمِ

---

(1) المعارضات: هي أن يعمد الشاعر إلى قصيدة شاعر سابق فيقلدها نظماً وقافية ومعاني، وذلك إما بقصد توكيد معانيه وبسطها، وإما بقصد الرد عليها، وقد شاع هذا اللون من الأدب وأغلب إطلاقه على المعنى الأول.

(2) ننوه أننا نقصد بالمعارضة هنا أن ينهج الشاعر على منوال شاعر سابق بقصد تأييده وتكميل معناه.

وإنما أنا بعضُ الغابطينَ... ومنْ يغبطْ وَليَّكَ لا يُذْمَمِ ولا يُلَمِ
مَدحتُه بمديحٍ أستقيلُ به وصادقُ الحبِّ يهدي صادقَ الكَلِم

ولا شكَّ أن الحاجة تتعاظم اليوم للعناية بهذه القصائد الأصيلة في المديح النبوي، سيما بعد أن أصبح فن المديح مادةً أساسية في مجالس الأفراح والأسمار. وهي ظاهرة عافية بلا ريب خاصة إذا تمكَّنَّا من توجيه القصيدة واللحن والأداء بما ينهض بحال الأمة، ويزيدها ارتباطاً بسيرة نبيها العظيم❐ وأصحابه الكرام الذين صنعوا المجد الإسلامي العظيم. فالتغني حاجة فطريّة، يحسها الإنسان في جوانح ذاته، ولكنها أداة في يد الحادي، فإما أن يتخذ منها معراجاً يرقي فيه بنفوس سامعيه، وإما إن يجعلها مزمار غّي يفسد فيها نصح مستنصحيه.

وكان للنبي صلى الله عليه وسلم حاديان الأول أنجشه، وكان يأمره أن يحدو في السفر بقصائد الحكمة، ويأذن له بأداء لواعج الأشواق، ويقول : يا أنجش.. رفقاً بالقوارير، والثاني هو البراء بن مالك رضي الله عنه وإنه لأمر جميل أن يدمدم الفتى المسلم بقصائد تزيده ارتباطاً بإسلامه وتشده إلى السلف الصالح، وتنهض بلغته وبيانه.

لقد انحط مستوى الإنشاد الديني، وأصبح الكثير من المنشدين لا يفرقون بين الغث والسمين، ودخلت ألفاظ عامية ولهجات محلية في قصائد المديح لتحل عمداً أو سهواً مكان الفصيح القوي الجزل وأصبح كثير من الإنشاد ما هو إلا لقلقة بكلمات خالية من المعاني عطل عن الدلالات، واستهلك اللحن أيضاً، فصار اللحن المبتذل الخفيف أكثر شيوعاً من اللحن الأصيل القوي، وفي ذلك فساد الأذواق، وخمود الأشواق.

وهكذا فإن الحاجة تتعاظم إلى الكشف عن روائع الأدب العربي التي لن تستطيع الأيام أن تقلل من نضارته أو تخفف من إشراقته، وهو كثير في بطون كتب التراث، وفي أعمال جليلة لا تزال مغمورة تحتاج إلى من يكشف عنها ويدلل عليها.

هذه المخطوطة

في الشهر الماضي أسعدني طالب داغستاني يدرس في كلية الدعوة الإسلامية بدمشق بإهدائي نسخة مخطوطة من قصيدة نظمها شاعر داغستاني على نهج البردة العصماء، ورجاني أن أقرأها وأتأملها.

والحق أنني لم أجد سبيلاً إلى إخفاء عجبي من هذا النظم الفريد، الذي لا نبالغ إن وصفناه بإعجاز المديح النبوي.فمع أن القصيدة من نظم شاعر داغستاني، عاش في داغستان في أواخر عهد القياصرة، وكانت اللغة الداغستانية هي حديثه وخطابه وكتابه، غير أنه نظم قصيدته هذه بالعربية، فكان مجلياً في حلبتها، ولو أنني كتمت اسم الشاعر عنك، وقرأت عليك طرفاً منها لحسبتها من شعر النابغة الذبياني أو امرؤ القيس، أو نظيرهم من فحول شعراء الجاهلية، وذلك لكثرة تمكن الشاعر من العربية، وتوفر غريب ألفاظها وعزيزه بين يديه، حتى كان حوشي العربية أطوع لسليقته من طاعة إنسِّيها لكاتب مجيد.

ومراراً ذرفت عيني وأنا أقرأ عواطف هذا الشاعر الداغستاني يقذفها إلى الحجاز من شاطىء بحر قزوين، محملةً بآمال العجم وأمانيهم، تترقرق شوقاً وحباً ووفاء، ووجدت

أن من أعظم الغنائم التي يمكن أن أحصلها في عمري أن أحمل إلى روضة النبي هذه الهدية متمثلاً بقوله:

هديَّةً دونَ قدرِ المصطفى عظماً وفوقَ مقدارِ مُهديها مِنَ العجمِ
ما فوقها مبلغٌ لي في الثناء..ولا ترضى بما بلغتْهُ طاقتي هِمَمي

ورأيت أنَّ جُثوّي على الركب في حضرة المصطفى ❐ وأنا رسول هذا المشتاق العاشق أرجى لي في القبول بحضرته، واخترت أن أصحب نسيم الصبا المشتاق إلى الحجاز، والذي يخاطبه ابن دنوغونة بقوله:

أيا نسيم الصبا إن كنتَ تُسعدُني بلّغْ سلامي إلى سكان ذي سلَمِ
إنْ سرْتَ يَوماً بسَلْعٍ أو بكاظمةٍ فحيِّ عني حَياً ثَمَّ.. و احترمِ
وعفِّر الخدَّ عني بالبقيع وزُرْ قبراً حوى خيَر خلقِ الله. والتزمِ
وخُذْ معَ القربِ قبلَ البعدِ ما سمحتْ بهِ يداهُ من الخيرات واغتنمِ
وقلْ لهُ إن نجم الدين يسألُكم أن تجعلوه مع الغلمان والخدَمِ

ورجوت أن أكون السّاعي في أمانيه إذ قال:

ورَوِّجَنْ هذه الأمداحَ تَنْشُرُها مشهورةَ الصِّيتِ بين العُرْبِ والعَجَمِ
مصحوبةً بفيوضٍ منكَ محييةً قلوبَهم كحياة الأرض بالدِّيمِ
واجعلْ تلاوتها ورداً لأمَّتِهِ أشهى من العَسَل الصَّافي بكلِّ فَمِ

واجتهدت في خدمة القصيدة راجياً أن تصيبني دعوته الصادقة:

وآتيْن منْ تلاها ثمَّ سَامِعَها ومنْ يُطالعُها من فضلك العَمِمِ
واحفظ إلهي منْ يَسعى ليَنْشرَها خطأً وطبعاً من الإملاق والنِّقم

المحرم 1415هـ

التعريف بالشاعر

نجم الدين بن محمد بن دنوغونة الحزي الداغستاني الملقب بالإمام الداغستاني الخامس، من ألمع القيادات الإسلامية في القوقاز في مطلع القرن العشرين.

ولد نجم الدين عام 1858م لعائلة عريقة قوية وغنية في القوقاز، فقد كان أبوه محمد بن دنوغونة من الوجوه البارزة في داغستان وكان ينهج نهجاً تصالحياً مع الامبراطورية الروسية، من غير أن يمسَّ ذلك انتماءه الوطني والإسلامي إلى داغستان.

وفي مطلع القرن التاسع عشر التهبت داغستان في ثورة عارمة قادها الأئمة النقشبنديون، وتعاقبت على إذكاء روح الثورة هذه ثلاثة من الأئمة المجاهدين وهم الأمير غازي محمد ثم حمزة بك ثم الإمام الكبير شامل [1] الذي أصبح أسطورة الجهاد في القوقاز، والذي أقضّ مضاجع الامبراطورية الروسية قريباً من ربع قرن.

(1) الإمام شامل: قائد أبرز حركات الجهاد التحريري الإسلامي في قفقاسيا، حقق انتصارات أسطورية على الجيوش الروسية، كان ينادي بوجوب قيام حكم إسلامي في سائر بلاد القفقاس، وقيام ذلك في دولة واحدة، وكان شعاره الشهير الذي أطلقه (القوقاز للقوقازيين).

وفي عام 1856م سيرت روسيا جيوشاً عظيمة بغرض سحق ثورة الإمام شامل وعقب معارك طاحنة تمكن الروس من إرغام الإمام شامل على النزول على حكمهم حيث أرغموه على اعتزال الحياة السياسية.

في تلك الفترة جاء دور محمد بن دنوغونة والد شاعرنا الكبير، حيث تمكن من الحصول على تفويض من القيصر بتدبير شؤون الداغستانيين، وهكذا فقد تحول ابن دنوغونة نائب الإمام شامل سابقاً، إلى موظف كبير في حكومة القيصر.

وقد كان هذا التحول سعياً ضرورياً حكيماً لحفظ مكاسب ثورة الإمام شامل والإعداد للمرحلة القادمة التي جاءت على يد ابنه نجم الدين فيما بعد.

وعندما توفي محمد بن دنوغونة عام 1898م كان ولداه أحمد ونجم الدين قد أصبحا مركز اهتمام الشعب الداغستاني الذي تفهم إلى حد ما الدور الهام الذي قام به والدهما.

أما ولده الشيخ أحمد فقد تفرغ للعلم والمعرفة، ورفض أن يأخذ قرشاً واحداً من مال أبيه، على أساس أنَّه مال اختلطت فيه عطايا القيصر بأرزاق والده، ولعل هذا الموقف من الشيخ أحمد كان بالتنسيق مع شقيقه نجم الدين حيث كان نتيجة الموقفين إنفاق هذا المال الكبير على مقاومة الروس وتحقيق حرية داغستان.

وهكذا فقد أصبح نجم الدين في آواخر القرن الماضي من أغنى أغنياء داغستان، وأصبحت بين يديه إمكانات تؤهله لإعلان الجهاد ضد الروس.

إلى جانب ذلك فقد كان نجم الدين قد حقق تبحراً عظيماً في علوم الشريعة حيث رحل إلى تركيا والحجاز وبلاد الشام وأفاد رسوخاً في العلم ونبوغاً في الأدب العربي، وسوف تكتشف مدى ذلك عندما تقلب صفحات هذه القصيدة المعجزة.

وقد بدأ نجم الدين حملته لتوحيد إرادة الداغستانيين ضد القياصرة عقب وفاة والده حيث بدأت تلك الحركة التحررية من مناطق الأَوَر والغموق، حيث مشى نجم الدين

مع المفكر الإسلامي الحاج أذن توكل، حيث تم تنظيم انتخابات شورية، تم على أثرها مبايعة الشيخ نجم الدين قائداً لكفاح داغستان ضد الروس.

وكان لابد من خطوة أخرى نحو توحيد الجهاد في شمال القوقاز، وبالفعل تنادى القوقازيون عموماً إلى عقد مؤتمر عام مدينة (عندمور) صيف عام 1917، حيث اجتمع سفراء شاشان وأنغوش وبلقار وكبردينيا وداغستان، وهناك ألقى نجم الدين كلمته المشهورة[1] التي تم انتخابه على أثرها ليصبح الإمام الخامس لحركة الجهاد لعموم شمال القوقاز.

وفي عام 1918 وعقب قيام ثورة اكتوبر البلشفية اتخذ ابن دنوغونة قراره الحاسم بإعلان الاستقلال التام، وهكذا فقد توجه في شهر شباط من هذا العام إلى (تمرخان شورى) حيث عقد مع أنصاره مؤتمراً حاشداً وطرح إعلانه الشهير بوجوب طرد الروس وإقامة دولة إسلامية في القوقاز.

وعلى إثر هذا المؤتمر بدأت المواجهات العنيفة بين المجاهدين والقوات الروسية (إسبلكم)، وقد تصدت ميليشيات البلاشفة الشيوعية لكتائب بن دنوغونة، وكانت تتفوق عدداً وعدة، نظراً لمخزون السلاح الروسي في أيديهم، ولكن رغم ذلك فقد اضطرت قوات الحكم المحلي الروسي (إسبلكم) للاعتراف بوجود الدولة الإسلامية في داغستان، وبدأت التفاوض حول انسحابها مع الشيخ نجم الدين من جانب ومع الشيخ علي الآقوشي من جانب آخر، بغرض كسب الوقت وخلق شرخٍ في صفوف المجاهدين.

واستأنف المجاهدون هجماتهم عام 1920 في مناطق الأور بغرض طرد الحامية الروسية الشيوعية حين تبين لهم أن الروس لايخططون للانسحاب، ولكن ذلك حرك القيادة العسكرية في موسكو التي وجهت جحافل جرارة لسحق الحركة الإسلامية في داغستان وشيشان.

---

(1) انظر تفاصيل أوسع عن جهاد داغستان ضد الروس والشيوعيين فيما أثبتناه في هذه الطبعة عن الجهاد الشيشاني نظراً لتلازم مسار الجهاد في كل من البلدين المتجاورين.

وتمكنت الجحافل الروسية المدججة بترسانة عسكرية مدمرة من السيطرة على المدن المكشوفة، ثم السيطرة على عموم مناطق داغستان، وهكذا فقد انتقل نجم الدين برجاله إلى جبال الشيشان، وبدؤوا يخوضون حرب عصابات فدائية ضد القوات الروسية وهي الحرب التي كبدت الروس خسائر هائلة، كادت أن تنسف الحلم الروسي القديم بالسيطرة على تلك المواقع، بالرغم مما بذلته روسيا من رجال وعتاد.

وبعد خمس سنوات من هذا الجهاد النادر الذي أقضَّ مضاجع الروس، وفي شهر تشرين الأول عام 1925 قام الجيش الأحمر تحت قيادة مجرم الحرب (أوبري فيتش) بمهاجمة وادي (ويدوجي) حيث كان ابن دنوغونة يعقد اجتماعاً مع أنصاره الذين أبدوا بسالة فريدة تجاه ذلك الجيش الكبير، وقد حرص قادة الجيش على القبض على نجم الدين حياً، رغم أن ذلك كلفهم كثيراً من الخسائر، حيث نقل إلى سجن (ستونادونو).

وبعد أيام قليلة صدر حكم المحكمة العسكرية في سجن (ستونادونو) بتاريخ 1925/10/15 وقضى بالإعدام على المجاهد الكبير نجم الدين بن دنوغونة.

ولم يعرف أحد بعد ذلك كيف ومتى تم تنفيذ هذا الحكم، حيث مارست السلطات الشيوعية تعتيماً إعلامياً على ذلك، ويقال إنهم ألقوه من طائرة، ويقال إنهم طحنوه في طاحونة وذرُّوا رماده في البحر.

وتواطأت الصحافة الشيوعية على طمس جهاد ابن دنوغونة وكفاحه الوطني، وصورته كما يناسب مصالحها وأهواءها، في عملية خائبة من العبث بالتاريخ، وتزوير الحقيقة، حتى آنهار ذلك النظام البغيض إلى غير رجعة.

وتقوم الآن في القوقاز عموماً حركات وطنية تهدف إلى إعادة الإعتبار لقادة التحرر الوطني الذين صنفتهم المؤسسات الشيوعية في عداد المجرمين والقتلة، في محاولات مستمرة لطمس حقيقة جهادهم المشروع في الدفاع عن الحرية والحق.

ولا شك أن الصحوة الإسلامية التي تشهدها داغستان والشيشان اليوم ثمرة من ثمرات كفاح الدعاة الداغستانيين العاملين، الذين كان ابن دنوغونة لسانهم الناطق، وشهيدهم الصادق.

وتعجب حين تطالع مانظمه ابن دنوغونة من قصائد عصماء، في أعلى درج البلاغة العربية، مع ماعرفتَ من جهاده وكفاحه وقيادته للكتائب ونفيره مع الألوية، فمتى كان يرتاح ذلك المحارب ليجد في وقته فسحة يغوص فيها في معاجم العربية، ليستخرج من خباياها تلك الكنوز الدفينة؟..

إن لذلك في رأيي تفسيراً واحداً، وهو أن الله عز وجل يكتب البركة في أوقات العلماء فتتَّسع أيامهم القصيرة للمطالب الكبيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون.

وقد كنت أصدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب متضمنة قصيدة واحدة لشاعرنا وهي القصيدة الموسومة: الأزهار الروية في المدائح النبوية، كما كتب على غلافها[1] ، وأتيت على شرح غريب ألفاظها، أردت بذلك أن أضع أمام المشتغلين بتعليم القوقازيين في بلادنا حقيقة ما لدى هذه الشعوب من مواهب دفينة.

وقد كان لصدور تلك الطبعة عام 1994م أثر طيب في دفع حركة تعليم مسلمي القوقاز في الشام، على مستوى المهاجرين الوافدين، والأنصار المستقبلين، وأعانني الله عز وجل فأهديت نسخاً منها لكل طالب علم وافد من داغستان او الشيشان.

ثم تكرم علي السيد محمد نور داغستاني والسيد يحيى محمدوف وكلاهما من الدعاة العاملين في داغستان، وقد كتب الله لهما تحصيل العلم الشرعي في المجمع الاسلامي بدمشق، فأفاداني معلومات مفيدة وجديدة عن نجم الدين ابن دنوغونة الداغستاني [1] ،

---

(1) انظر صورة المخطوطة في نهاية الكتاب.

(1) وكذلك مقال خاص عن ابن دنوغونة نشرته صحيفة الحقيقة في عددها الصادر في 1995/8/12، بقلم محمد عليوف. ترجمه إلى العربية مرتضى علي الداغستاني وهو من طلبة جامع أبي النور بدمشق.

وكان أحسنها نسخة مخطوطة من ديوان شعر يقع في نحو (240) صفحة لابن دنوغونة كتبت بخط السيد حسين بن أحمد الكندي عام 1990م، وهي مجموعة من القصائد الرفيعة في أغراض مختلفة من الشعر، ففيها المديح والغزل والفخر والهجاء والردود، وتعليقات له مفيدة، فتواصلت بذلك سعادتي في الاطلاع على روائع أعمال ذلك المجاهد الشاعر، وهي بمجملها ترسم لك صورة الموهبة الهائلة التي أوتيها هذا الرجل في اللغة والبيان، ولا شك أنه لو نشرت أعماله في البلاد العربية لطار ذكره في الآفاق ولصنف من دون ريب واحداً من أعلام النهضة الأدبية البارزين في هذا القرن.

هذا باختصار ماعرفته عن الشاعر ابن دنوغونة من ألسنة الطلبة والدعاة الداغستانيين الذين جاؤوا إلى دمشق.

وقد جهدت أن أستخرج للشاعر ترجمة حية من كتب التراجم العربية فأعجزني ذلك ولم أهتد إلى شيء تقرُّ به العين، وتكتفي به النفس.

ولكن حين وقع بين يدي ديوانه المخطوط أمكنني أن أرسم من خلاله صورة استقرائية لشخصية الشيخ وثقافته وشيوخه وزملائه حيث عرض لهم في ديوانه إما في مديح أو رثاء وكذلك أتى على ذكر بعض خصمائه.

ولكن يجب أن نعترف هنا بأن معرفتنا بأعلام داغستان ضئيلة للغاية ولم يتيسر لي أن أترجم لهؤلاء المعاصرين باستثناء رجل واحد وهو الأستاذ المباشر لأخيه عبد اللطيف الحزي كما ذكر أخوه في مقالة له في الديوان ذاته ولا يبعد أن يكون نجم الدين أيضاً قد تتلمذ عليه نظراً لوحدة مشرب الأخوين غير أني لم أجد لذلك إشارة كافية.

وهذا الأستاذ هو الشاعر الأديب حسن حسني بن حسين عارف بن حسن الطويراني مولده عام 1850 ووفاته 1897 ولد في القاهرة، ونشأ بها، وهو من أصل تركي، وأقام بالقسطنطينية إلى أن توفي وكان غزير الأدب، صدر له بالعربية نحو ستين مؤلفاً، وفي التركية نحو عشرة، ونظم ستة دواوين بالعربية، واثنين بالتركية، إضافة إلى عدة

جرائد رئس تحريرها، وقد التقاه عبد اللطيف ابن دنوغونة فأخذ عنه وتخرج به وعبارته في ذلك:

أني وإن كنت من المولعين بهذا الخطب الجليل والمتطلبين لنفعه الجزيل، لكن لم يتبين لي يمينه من الشمال، وسهوله من الجبال، إلى أن منَّ الله سبحانه وتعالى علي برحلتي إلى مملكة الإسلام، والاجتماع بجهابذتها النجباء الفخام، فصرفت همتي الفائرة في نقد الأشعار وشرب زلالها من حوضهم، وعرض بعض ما نظمته على بعضهم، وهو العلاّمة الرباني حسن حسني بيك الطويراني، فلم يزل حفظه اللطيف الخبير يبين وجوه التحبير إلى أن تخرجت عليه بفضل سبحانه وتعالى أنه ميسر كل عيسر.

هذا ما أدركناه من ترجمة الطويراني في المصادر المتوفرة لدينا، أما الشيوخ الآخرون من الذين أتى نجم الدين على ذكرهم في ديوانه، فها أنا أذكرهم لك وليس عندي لهم أي ترجمة، ولعل الله يسعفني بمن يعرفهم فيترجم لهم فنفيد من ذلك في طبعات قادمة.

قصيدة في الثناء على الشيخ محمد الخشدادي.

ذيل على قصيدة الخشدادي من عمل: مترتضى علي العتلجي.

قصيدة في مناظرة الشيخ علي الثغوري.

قصيدة في الثناء على الشيخ محمود أفندي العبودي.

قصيدة في رثاء العلامة الغوث: أبي أحمد الشيخ الحاج عبد الرحمن الثغوري.

قصيدة في لوم فخر الأرغني.

قصيدة كتبها إلى حسن الألقداري، قصيدة أخرى في مآثره.

قصيدة له في الجواب عن أخيه الحاج عبد اللطيف الحزي.

قصيدة أنشأها لتكتب على قبر حاج مراد الأواري.

قصيدة في مدح السلطان عبد الحميد خان وعساكره في حرب اليونان.

قصيدة في مأثر الشيخ محمد الككني

قصيدة في مدح العارف بالله الشيخ كنت حاج المشكي.

قصيدة جوابيه لزيد الكركلي.

رثاء للمحقق أبي تراب السلطي.

قصيدة لمحمد عمري الأحلي.

مع مجموعة من القصائد الأخرى.

ولا شك أن أكثر الناس صلة بشاعرنا هو أخوه العلاّمة عبد اللطيف الحزي، ويظهر أنه نهج نهجه في أدبه وأسلوبه، وله مجموعة من القصائد في الديوان ذاته لا تكاد تميزها من قصائد أخيه نجم الدين.

وها أنا أضع بين يديك الطبعة الثانية مصدرة بهذه الترجمة الخجولة لرجل كبير، مشفوعةباعتذاري عن تقصير ي في ترجمته كما يستحق، معللة بدعاء مأثور : اللهم أني أعوذ بك من العجز فيما أعلم، ومن تكلف مالا أعلم. وقد رأيت أن أضيف إلى هذه الطبعة مجموعة أخرى من قصائد ابن دنوغونة في المديح النبوي خاصة إذ ذاك مما يتسق مع عنوان كتابي: أشواق داغستان، وقد تركت نشر بقية قصائد الديوان إلى فرصة قادمة.

وقد ذيلت ما تشتد إليه الحاجة من شرح غامض الكلمات في هذه القصائد تاركاً للقارىء الكريم أن يخوض في لجج معانيها كما يشاء.

والقصائد التي أضفتها هي: قصيدة من البسيط قافيتها قاف مكسورة في ((74)) بيت مطلعها:

لله ما أنا من سُمِّ الهوى لاق هل بالتلاقي الذي أهواه لي راق

قصيدة من البسيط أيضاً كافيتها راء مضمومة، في (162) بيتاً مطلعها:

لا ينفع المرء في دنياه تدبير إلا إذا ساعد التدبير تقدير

وقد اقتصرت على أيراد ((70)) بيتاً منها فقط، إذا هذا هو القدر الذي خصصه للمديح النبوي منها، وهذا ما ينسجم مع طبيعة الاختيار الذي أوردناه من قصائده.

وقصيدته الغرّاء تتألف من 362 بيتاً، وقد أوردتها لك مشكولةً، واجتهدت أن أشرح غريبها مستنداً في الأساس إلى ما دوَّنه الناسخ على هامش مخطوطته، واستكملت شرحها من مراجع اللغة الأصول، فجاءت هاتان القصيدتان وصيفتين للقصيدة المعجزة التي سطرها ابن دنوغونة في المديح، ولم تلق حتى اليوم ما تستحقه من عناية واهتمام.

وقد آثرت أن أعرض عليك عدة صفحات من المخطوطة الأصل وذلك لما فيها من حواشٍ وتعليقات بالعربية والإنكليزية والداغستانية وقصدي من ذلك أن يتأمل القارىء فيها، وأن يتمتع أيضاً بروعة خط العجم إذا ما كتبوا الحروف العربية.

وأؤكد للقارىء الكريم أنني عشت في رحاب هذه القصيدة الصَّادقة نحو عشرين يوماً وأنا أقلِّب معانيها، وأدهش لما تضمنته من فنون القول وروائع الأدب، ولم تغب عن خاطري روح ذلك الشاعر الداغستاني، وهي تشتاق إلى أريج المدينة، وتصل ما بين العرب والعجم برباط غير منصرم من الحب والكلف والشوق.

لقد تحطم اليوم ذلك الغل الحديدي الأحمر، الذي كان يطوِّق بكلكه شعوب وسط آسيا وقوقازيا المسلمة، وانجلى ذلك الحدث التاريخي عن شعوب طامحة، ظهورها مرهقة بمظالم الإلحاد، وقلوبها بكر مشتاقة إلى تاريخها تواقة إلى ماضيها، تتلمس في حناياها جذوة الإيمان.

إن الشعوب الإسلامية مطالبة اليوم أن تؤدي حق الوفاء الذي ستطالبها به الأيام، تجاه تلك الشعوب الصابرة، التي لقيها العنت والخسف والمظالم، فكانت به صابرة راضية، وما بدلت تبديلاً.

وأسأل الله أن يكتب جهدي المتواضع هذا في سجل الوفاء لقلوب العجم الصادقة التي نطقت بلسان عربي مبين.

قراءة في تاريخ الكفاح الإسلامي في داغستان

داغستان جمهورية ذات حكم ذاتي ضمن جمهوريات روسيا الاتحادية تحدها جنوباً أذربيجان، وغرباً جورجيا وشيشانيا، وتحدها روسيا من الشمال والشمال الغربي فيما يحدها شرقاً بحر قزوين.

وتبلغ مساحتها 300.50 كم^2 وعدد سكَّانها 1,600,000 نسمة حسب إحصاءات عام 1980م

وتسمية داغستان[1] مركبة من كلمتين (داغ) وهي الجبل بالتركية و(ستان) وهي الأرض بالفارسية فيكون معنى التسمية الأرض الجبلية، وهو وصف لطبيعة داغستان الجغرافية. حيث يتوضع أغلب النشاط السكاني في مدن وقرى جبلية في سفوح قمم شاهقة.

وبسبب من طبيعتها الجغرافية، فقد كانت تستعصي على الفاتحين الغزاة، ولم يخضع شعب داغستان لأي حكم أجنبي خلال تاريخه خضوعاً مطلقاً حتى كانت السيطرة الروسية عام1860م.

ويتداخل تاريخ الداغستان مع تاريخ الشيشان، نظراً لتجاورهما جغرافياً وتشابه التقاليد والمعتقدات والتاريخ.

ويعود الوجود الإسلامي في داغستان إلى العهد الأموي في زمن هشام بن عبد الملك، حيث وصلت جيوش الفتح بقيادة أخيه مسلمة بن عبد الملك.

ويرجع ابن كثير تاريخ وصول المسلمين إلى داغستان إلى ما قبل ذلك بكثير، حيث يشير إليها في حوادث عام 22هـ عام أيام عمر بن الخطاب، فيذكر أن سراقة بن عمرو ذي النور جاوز أرمنستان إلى داغستان بعساكر المسلمين وأمير مقدمتهم عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي، ولقبه أيضاً ذا النور، وكان على الغنائم سلمان بن ربيعة الباهلي، وقد عد ابن حجر العسلقاني كلاًمنهم في الصحابة، في كتابه الإصابة في تمييز الصحابة.

وقد أمضى الصحابة المذكورون أيامهم في نشر الدعوة في داغستان، ومحاربة الخزر حتى كتب الله لهم الشهادة، ولم يذكر ابن كثير مواقع قبورهم وإن كان اعتقاد الداغستانيين أنهم دفنوا في شمال دربند في المزار المعروف (خلار مزار).

(1) انظر دائرة المعارف الإسلامية مادة داغستان.

وعقب اشتشهاد الثلاثة، انحسر الوجود الإسلامي في داغستان، وشهدت البلاد تسلطاً خزرياً دام إلى أن وصلت دفعات جديدة من الفاتحين، أولهم قتيبة بن مسلم الباهلي عام 89هـ ، ثم الجراح بن عبد الله الحكمي سنة 105هـ، ولكن الوجود الإسلامي في داغستان لم يستمر إلا عندما وصل مسلمة ابن عبد الملك عام 113هـ.

وقبل مسلمة وبعده، فإن أكبر منافس على داغستان كان يتمثل في قبائل الخزر الذين تمكنوا من صد حملات الفتح الأولى، وحاربوا مسلمة حرباً شديدة، غير أن مسلمة تمكن من إرساء الوجود الإسلامي في دربند، فيما انصرف الدعاة من اصحابه إلى نشر الإسلام في جبال داغستان.

وفي أيام هارون الرشيد ولي داغستان خزيمة بن جازم، فأرسى فيها استقراراً إدارياً وعمرانياً حتى أن هارون الرشيد حضر بنفسه إلى دربند فأقام فيها سبعة أشهر، ومات له ولدان دفنا في مقبرة (خلار مزار).

والحق أن الغزوات الخزرية لم تنقطع بعد مسلمة بل استمرت بين الحين والأخر، ولكن دربند ظلت دوماً مستعصية على الخزر، رغم ما خاضوه من حروب طاحنة في سبيل احتلالها.

والحق أن مسلمة لم يكن مهتماً بفتح داغستان بقدر ما أهمه السيطرة على دربند التي جعل منها حصناً بالغ الأهمية واعتبرها ثغراً من ثغور المسلمين.

وخلال تاريخ داغستان فإن ممر دربند الجبلي فصم تاريخ شمال داغستان عن تاريخ جنوبها، وهي أجدر أن تكون بسبب هذا الفصم الجغرافي وحدتين تاريخين منفصلتين، على كل حال فإن الطبيعة الجبلية تغلب على داغستان عموماً باستثناء السواحل القزوينية.

وقد كانت داغستان عموماً مسرحاً للأديان الثلاثة: النصرانية واليهودية والإسلام، وكان الحكم فيها غير مستقر يتناوبه عادة أمراء محليون، غالباً ما كان يكتسحهم مدّ روسي أو خزري أو فارسي، وبدءاً من القرن الثاني الهجري جعلت

داغستان تتحول إلى الإسلام، ولم يكن هذا التحول شاملاً وسريعاً بالطبع إذ أن الطبيعة الجغرافية القاسية لداغستان كانت تسمح بتباين عقائدي كبير بين السكان المحليين.

ولكن حركات الدعوة إلى الله لم تتوقف خلال تاريخ داغستان وكان الزمن في صالحها حيث أصبحت داغستان في النهاية أرضاً إسلامية.

ولعل من أقدم المعالم الإسلامية في داغستان مسجد في قرية شمخ يقال إن مؤسسه هو الداعية المسلم أبو مسلم المروزي [1] ، وفي المسجد قبره وبردته وسيفه، وقد نقش على القبر أن وفاة أبي مسلم كانت عام (150هـ).

وقد شككت دائرة المعارف الإسلامية بهذه المعلومات وشككت أيضاً في انتشار الإسلام في داغستان قبل القرن العاشر الهجري!!

ومهما يكن من أمر فإن غلبة التسميات العربية، وارتباط الداغستان بالقضايا الإسلامية يجعلنا نؤكد أن داغستان أصبحت بلداً إسلامياً خلال قرنين أو ثلاثة بعد مسلمة بن عبد الملك، بغض النظر عن سياسات حكامها المحليين أو الوافدين.

وكان الزعماء المحليون يسمون: الشامخال، ويرجع كثير من المؤرخين تسمية الشامخال إلى بلاد الشام التي وصل رجالها إلى الأمصار الداغستانية.

وكذلك تسمية الأمير بـ(قازي) التي تعني غالباً (الغازي) أي المجاهد في سبيل الله، وتسمية (أوسمي) التي ربما يكون لها ارتباط باعلام الفاتحين المسلمين الأوائل (مسلمة) أو(أبو مسلم).

وسجلت أول سيطرة عثمانية على الأراضي الداغستانية عام 986 هـ ولكنها لم تستمر إلا تسعة وعشرين عاماً حتى ظفر الفرس بها في عهد الشاه عباس الصفوي عام 1015هـ، وهكذا تقسم ولاء الحكام المحليين بين الفرس والعثمانين.

---

(1) ثمة قولان في ترجمة أبي مسلم هذا، الأول أنها كنية مسلمة بن عبد الملك، ولكن مسلمة لم يكن مروزياً، أضف إلى ذلك أنه مات في الشام. انظر سير أعلام النبلاء ترجمة مسلمة.

والقول الثاني أنه داعية مروزي سافر من عربستان بعياله إلى داغستان واشتغل بتعليم الشريعة وتوفي في قرية خونزاخ.

وبدءاً من القرن العاشر فإن روسيا والسلطنة العثمانية وفارس جعلت تتنازع السيطرة على داغستان، وفي كل هذه الفترات كان حكام محليون ينتفضون على الاحتلال الأجنبي.

ففي عام 1134هـ سيَّر بطرس الأكبر حملة إلى فارس واحتل في طريقه أراضي داغستان، وادعى حق روسيا في هذه السواحل الهامة.

ولكن الشاه الفارسي نادرشاه 1147هـ عاد فمدَّ نفوذه إلى البلاد متحدياً بذلك الإرادة الروسية، وظلت البلاد بعد مقتل نادر شاه 1160هـ في حالة من التفكك نحو نصف قرن، وفي الحقيقة فإن ذلك النزاع المستمر لم يكن يتجاوز البلاد الساحلية، في حين ظلت المناطق الجبلية وهي تشمل أكبر قمم البلاد في أيدي الحكام المحليين.

وخلال تلك الفترات كلها فقد كان الدعاة المسلمون بزعامة الصوفية منهم يطوفون البلاد في غيبة عن النزاع السياسي، وينشرون فيها الدعوة الإسلامية، وأصبحت الطريقة النقشبندية هي السمة الغالبة على كل السكان المحليين.

وفي عام 1188هـ و1775هـ اكتسحت روسيا البلاد من جديد، وبعد (21) عاماً عاد الفرس من جديد، فاحتلوا داغستان بعد أن انتصروا على الجيش الروسي في عهد كاترين الثانية عام 1209هـ 1796م ولكن ذلك لم يطل فعادت روسيا من جديد عام 1230هـ 1801م، ولم تكن الجيوش الحقيقة تتجاوز السواحل الداغستانية أما المرتفعات فقد كانت في أيدي الحكام المحليين كما أسلفنا، وهؤلاء كانوا عادة يتوزَّعون في ولائهم بين الفرس والعثمانيين أو يكونون دون ولاء لأحد.

وفي عام 1813 نزلت إيران عن داغستان لصالح روسيا، وبدأ الروس يوطدون سلطانهم في داغستان في غياب المنافسة الفارسية، كما لو كانت داغستان إرثاً شرعياً محضاً لهم.

ويمكن القول إن الثورة الإسلامية في وجه الروس قد بدأت عام 1830م 1245هـ، وذلك عندما أفتى الأئمة النقشبنديون بوجوب محاربة الكفار، وظهر الأمير

غازي محمد ويسميه الروس قاضي ملاً، منادياً بوجوب تحكيم الشريعة الإسلامية وطرد الكفار من سائر التراب الداغستاني، وقد كان الأمير غازي محمد فقيهاً رفيعاً، وقد عرف بالتبحر في العربية إلى مستوىً عال، وقد كتبت له الشهادة عام 1832م، فخلفه حمزة بك ولكنه اشتشهد أيضاً عام 1834م، وخلفهما الأمير شامل الذي أصبح رمزاً للمقاومة الداغستانية في وجه الروس، واستمر في الكفاح قرابة ربع قرن، وأحرز انتصارات مذهلة ضد الروس وخصوصاً عامي 1843.1844، واقتصر الوجود الروسي حينئذ على السواحل فقط إلى عام 1877م.

وخلال هذه الفترة لم تهدأ داغستان من الإنتفاضات المستمرة في وجه الروس وخصوصاً انتفاضة 1859م.

ومع مطلع هذا القرن كان شاعرنا نجم الدين بن دنوغونة من ألمع القيادات الإسلامية حركة ونشاطاً، وكانت صلاته الواسعة بالقيادات الإسلامية في آسيا الوسطى وفي الشرق الأوسط تكسبه عمقاً استراتيجياً ظاهراً، وكذلك فإن تمكنه من العربية والعلوم الإسلامية جعلت منه واحداً من ألمع القيادات الإسلامية في داغستان، واستمر كفاح ابن دنوغونة في تصاعد حتى أصبح يشكل تحدّياً حقيقياً للوجود الروسي برمَّتِه في داغستان، ولكن تفاقم الأحداث وظروف الحرب العالمية الأولى كان أكبر من جهد ابن دنوغونة وجهاده المحدود الوسائل، وهكذا فقد أفاد البلاشفة من ظروف الحرب العالمية الأولى، وقام الجيش الشيوعي الأحمر باكتساح داغستان بجيش عرمرم، لتصبح واحدة من الولايات السوفيتية ضمن جمهورية روسيا الإتحادية، وكان من أول القرارات التي اتخذها الحاكم العسكري الشيوعي في داغستان إعدام ابن دنوغونة، وهناك حكايتان يرويهما الناس حول إعدامه فقد قيل إن ابن دنوغونة اعتصم بمقاطعة جبلية صعبة، ولكن الشيوعيين تمكنوا من دخول قريته وأسروا نحو عشرين من خيرة رجال هذه البلدة وهددوا بقتلهم جميعاً إن لم يظهر ابن دنوغونه.

وهكذا فقد اختار أن يسلم نفسه إيثاراً لإخوانه على نفسه، ولم تتورع السلطات الشيوعية عن إعدامه فوراً، قيل إنهم ألقوه من طائرة، وقيل إنهم ألقوه في طاحونة ثم قذفوا رمَّته في البحر وذلك عام 1925م.

ودخلت داغستان في جحيم الحكم الشيوعي الذي كان يسحق أيّ تمرّدٍ بوحشية كاسرة، وسجلت عدة هجرات من داغستان إلى آسيا الوسطى والشرق الأوسط وقد سعدت دمشق بعدة هجرات داغستانية إليها ولمع في سماء الشام عدد من هؤلاء المهاجرين نذكر منهم الشيخ عبد الله الداغستاني، والعلامة الشيخ محمد سعيد البرهاني شيخ الطريقة البرهانية ومؤسس النهضة العلمية في جامع التوبة بدمشق.

ولا يزال لهم في الشام إلى اليوم حي في جبل قاسيون، وإن يكن عدد منهم قد اختلطوا بسكان الشام ولم يجدوا أي عقدة في الإقامة الطيبة في ديار الشام في أحياء دمشق كالميدان والصالحية.

وفي أعقاب انهيار الحكم الشيوعي في الإتحاد السوفيتي عادت داغستان تطالب باستقلالها عن الروس والعودة إلى الشريعة الإسلامية، واعترف الروس مبدئياً بالوضع الجمهوري لداغستان ضمن إتحاد روسيا، وهوالأمر الذي كان موجوداً في الأصل على صفحات الدستور الروسي فقط.

وتشهد داغستان اليوم نهضة إسلامية حقيقية، وقد وفد إليها دعاة من سوريا والسعودية وإيران وتركيا، وبعثت الحياة في المدارس الإسلامية، وأوفد مفتي سوريا عدداً من الدعاة المتخصصين بتاريخ ولغات المجتمع الداغستاني وذلك عام 1992م والأمل كبير أن يستعيد الشعب الداغستاني مجده وعافيته، ويتبوأ منزلة طيبة في الصحوة الإسلامية تليق بما قدمت من أعلام كبار كالأمير غازي محمد والأمير شامل وابن دنوغونة وغيرهم[1] .

(1) وجه سماحة الشيخ أحمد كفتارو المفتي العام للجمهورية العربية السورية، ورئيس مجلس الإفتاء الأعلى، العناية الكبيرة للنهضة بالدعوة الإسلامية في الجمهوريات الإسلامية في قفقاسيا وآسيا الوسطى، وقد أمكنه أن يتحرك في هذا السبيل على أربعة محاور:

الأول: توجيه الدعاة الأكفاء من دمشق إلى تلك البلاد، والقيام برعايتهم وتمويل نشاطهم في هذا السبيل.

الثاني: تقديم منح دراسية لأفراد منتخبين من الجمعيات الإسلامية في القوقاز وآسيا الوسطى، وتوفير الظروف الدراسية المناسبة لإعدادهم دعاة أكفاء في بلادهم.

الثالث: تنظيم ندوات تعليمية وتدريبية مكثفة للدعاة العاملين في تلك البلاد، وقد تم بالفعل تنظيم دورة ناجحة لنحو سبعين من الدعاة الداغستانيين والشاشان في مجمع النور الإسلامي بدمشق عام1993، وكذلك نظمت دورة أخرى صيف عام1994 لضعف العدد تقريباً. وتجري الآن الدورة الثالثة لما يقرب من150 شخصاً من تلك الجمهوريات.

الرابع: المساعدة في إنشاء المدارس الشرعية، وتشغيل المتوقف منها، وقد تم بالفعل إحداث عدة معاهد شرعية في داغستان وشاشان وقرغيزيا.

القضية الشيشانية

حينما صدرت الطبعة الأولى من هذه (الأشواق) لم تكن المسألة الشيشانية قد برزت على المسرح الدولي بالشكل الذي تتفاعل فيه اليوم، ولذلك فإنني أتيت بشكل عابر على داغستان والشيشان على أساس أنها البلاد التي انطلق منها جهاد شاعرنا ابن دنوغونة، من غير أن تتاح للقارىء الكريم فرصة التعرف بعمق على القضية الإسلامية في الشيشان وعموم قوقازيا.

واليوم فإنني أجد لزاماً علي وأنا أدفع الكتاب للطبعة الثانية أن أمضي مع قارئي الكريم إلى التعرف على مالا يجوز أن يجهله مسلم، من معاناة إخوانه في الشيشان في هذه الأيام الرديئة.

ولا بد من شكوى إلى ذي مروءة يواسيك أو يسليك أو يتوجع

الشيشان أو (ججن) كما يرد ذكرهم في الدراسات القديمة، شعب قوقازي عريق، يسكن في مرتفعات قوقازية، ضمن أرض تبلغ مساحتها نحو (19,300) كم^2، وتعرف باسم (شيشان أنغوش) نسبة إلى الشعبين المتلاحمين اللذين يشكلان غالبية السكان في هذا الإقليم، حيث بلغت نسبتهم بعد حملة التهجير الستاليني الظالمة: 76% شيشان و20% أنغوش و4% كيست.

وتقع جمهورية الشيشان وسط قوقازيا فتحدها شرقاً داغستان، وتحدها جنوباً جورجيا وتحدها شمالاً روسيا فيما تحدها غرباً جمهوريات أوستينا وكبردينيا بلقار ذات الحكم الذاتي ضمن اتحاد روسيا.

وموقعها بالنسبة لداغستان يشبه موقع لبنان بالنسبة لسوريا، إذ تزيد مساحة الداغستان على شيشان نحو ضعفين وتبلغ (50.300) كم^2، وتحدها من سائر جهات المشرق وبعض الشمال والجنوب أيضاً.

وبلغ عدد سكان الشيشان عام 1990 حوالي مليون ونصف نسمة، ولكن هذا الرقم لا يعبر إلا عن نحو ربع الشعب الشيشاني الذي مزقه التشريد والإبعاد وتلاحق المظالم.

ويشير المؤرخ السيد «ق ت جونا توقه» مؤلف كتاب تاريخ القوقاز إلى أن الاعتقاد السائد في الشيشان أن هذا الشعب عربي الأصل، وأنه تحرر من جد يقال له(علي عرب)، قدم إلى قوقازيا من دمشق الشام في تاريخ بالغ القدم، ومن ولده جاء (ناخ جو)، الذي يعتبر الجد المباشر للشاشان، ويحب الشاشانيون أن تناديهم باسم (ناخجلي) التي معناها عندهم أيضاً: (الملة).

ولكن المؤرخ المذكور ينكر هذا الاعتقاد، ويعتبره أسطورة حالمة، ويؤكد أن أصل الشعب الشيشاني من قوم (طوربيل) الذين ذكرهم هيرودوت بأنهم من قبائل الجراكسة التي كانت تسكن سواحل بحر قزوين الشرقية ثم هاجرت واستوطنت شرق قوقازيا، وعلى كل حال فإن ثمة آثار باقية تشير إلى وجود الشيشان على أرضهم الحالية منذ عام 2000 ق.م حسب ما حققه المؤرخ أوسلر.

وتعتبر المسألة الشيشانية من أكثر المسائل حساسية في العالم الإسلامي، ومع أنها تفجرت على المستوى الدولي منذ فترة قريبة نهاية عام 1994م غير أنها لم تزل تتفاعل على المستوى المحلي منذ أكثر من مائتي عام عندما أندلع الصدام المسلح بين الامبراطورية الروسية ومسلمي الشيشان والداغستان والقبرطاي.

ولم تكن ثورة ابن دنوغونة في الداغستان والشيشان إلا جزءاً من سلسلة متلهبة من الثورات الإسلامية التي قامت في قوقازيا بدءاً من حرب الإمام منصور 1783م والتي شهدت ذروتها وألقها في الحركة المريدية 1856م بقيادة الإمام شامل الذي حقق انتصارات

هائلة على الجيوش الروسية المدججة وأصبح أسطورة تلهم حركة الكفاح التحرري في القوقاز وآسيا الوسطى.

وأجد من الحكمة هنا أن عرض بشيء من الإيجاز لتاريخ الحركة الإسلامية في مناطق ما كان يسمى الاتحاد السوفياتي، ذلك أنها تعيش اليوم هماً إسلامياً متشابهاً، وما حدث في الشيشان مرشح أن يتكرر في غيرها من هذه المناطق، نظراً لتشابه الواقع التاريخي، وتوفر الأطماع الخارجية.

المسلمون في الاتحاد السوفياتي السابق ينتشرون في منطقتين رئيستين:

الأولى: آسيا الوسطى وكازاخستان، وهي المناطق التي تنحصر بين شمال الصين وبحر قزوين، وتحدها جنوباً الصين وأفغاستان وإيران ، فيما تحدها شمالاً روسيا وتزيد مساحتها الإجمالية عن مليون كم ^{2}، وقد أعلنت جمهوريات آسيا الوسطى وكازاخستان استقلالها اليوم، واعترف بهذا الاستقلال على المستوى الدولي، وهي اليوم: كازاخستان وأوزبكستان وقيرغيزستان وطاجكستان وتركمانيا، ونسبة المسلمين في مجموعها لا تقل عن 75% من السكان، فهي تزيد عن 80% في طاجكستان وأوزبكستان وتركمانستان، و70% في قيرغيزستان، و50% في كازاخستان.

الثانية: منطقة القوقاز وشمالها، وهي المنطقة المحصورة بين بحر قزوين والبحر الأسود، ويعيش المسلمون ضمن مناطق منها تبلغ مساحتها نحو 300 ألف كم^2، حيث يشكلون أغلبية واضحة في جمهورية أذربيجان المستقلة والجمهوريات التي لا تزال ضمن الاتحاد الروسي.

كما توجد تجمعات إسلامية ظاهرة في مختلف مناطق الاتحاد السوفياتي السابق ولكنها لا تتشكل في إطار جغرافي أو إداري مستقل.

ويمكن قراءة الأرقام الدقيقة لنسب المسلمين وعددهم في تلك المناطق من خلال الجداول المرفقة.

المسلمون فى آسيا الوسطى وكازاخستان

		عاصمتها	المساحة/ كم^2	السكان/مليون احصاء 1980	نسبة المسلمين من السكان	ملاحظات
جمهوريات مستقلة	أوزبكستان	طشقند	400.000	15.4	%87	تضم مدينة سمرقند وبخارى
	كازاخستان	آلما آتا	2.717.300	15	%50	
	طاجاكستان	دوشنبه	143.000	5	%85	
	قرغيزية	فرونزوه	150.000	5	%70	
	تركمانيا	عشق آباد	488.100	3	%82	
جمهورية ذات استقلال ذاتي	قره قلبقستان	نوخوس	165.000	1	%95	تتبع أوزبكستان
منطقة ذات استقلال ذاتي	غورنوبد خشن	خوروغ	63.700	0.2	%99	تتبع جمهورية طاجكستان

المسلمون فى القوقاز

		عاصمتها	المساحة/ كم^2	السكان/مليون احصاء 1980	نسبة المسلمين من السكان	ملاحظات
جمهورية مستقلة	أذربيجان	باكو	86.600	6	%82	تضم نخيشيفان وناغورنوكاراباخ
جمهوريات ذات استقلال ذاتي	تتاريا	قازان	68.000	3.5	%47	العدد الإجمالي للتتار في روسيا 6.3 مليون ربعهم في تتاريا فقط
	بشكيريا	أوفا	143.500	4	%50	
	كبردينيا بلقار	نالتشيك	12.500	0.7	%55	
	داغستان	مختش قلعة	50.300	1.6	%85	تتميز بتعدد اللغات
	شيشان أنغوش	غروزني ونزران	19.300	0.76 شيشان 0.2 أنغوش	%80	استقلت عن روسيا الاتحادية من طرف واحد
	نخيتشيفان	نخيتشيفان	5.500	0.3	%80	تتبع أذربيجان
مناطق ذات حكم ذاتي	الأديغة	مايكوب	7.600	0.5	%21	تتبع إقليم كراسنودار في روسيا الاتحادية
	قره تشاي شركس	شركس	14.100	0.4	%55	تتبع إقليم ستافروبول في روسيا الاتحادية
	ناغورنو قره باخ	ستباناكرت	4.400	0.2	%20	تتبع جمهورية أذربيجان

وقد بدأ وصول الإسلام إلى هذه المناطق منذ فجر الدعوة الإسلامية، فقد وصلت جيوش الأمويين إلى منطقة قوقازيا بغرض السيطرة على ممر دربند كما بينا ذلك قبل قليل، أما مناطق آسيا الوسطى فقد وصلها الفتح الإسلامي أيضاً في القرن الأول الهجري، وقد أطبقت المصادر التي ترجمت للصحابي الجليل قثم بن العباس أنه دفن في سمرقند بأوزبكستان ولا يزال ضريحه معروفاً مشهوراً حتى اليوم.

ولا شك أن هذه الحملات المبكرة من الفتح وإن أثمرت قيام حكومات إسلامية في بعض مناطق آسيا الوسطى وقوقازيا غير أنها لم تكن كافية لتحول هذه الشعوب من أديانها التقليدية إلى الإسلام.

ويمكن القول إن دخول الإسلام إلى هذه المناطق تم عبر وسائل ثلاث، وفي مراحل زمنية مختلفة نلخصها كالآتي:

أولاً: الفتوح الإسلامية، وقد مرت بعدة مراحل:

الأولى: فترة الدولة الأموية فقد وصلت جيوش مسلمة بن عبد الملك إلى شواطىء قزوين، كما وصل قتيبة بن مسلم إلى بخارى وسمرقند.

والثانية: نشاطات السامانيين والغزنويين خلال القرن الحادي عشر الميلادي.

والثالثة: فتوح المغول بعد إسلامهم في القرن الثالث عشر والرابع عشر الميلادي فإضافة إلى مناطقهم التقليدية في سفوح الهمالايا والتي امتدت لتشمل سائرآسيا الوسطى فإنهم أيضاً سيطروا على مناطق واسعة من القوقاز والقرم وشمالي البحر الأسود وكامل شواطىء قزوين.

ثانياً: عن طريق التجار، فقد كان هؤلاء وسيلة حقيقية لنشر الإسلام، وذلك عبر طريق القوافل التجارية الشهير طريق الحرير والذي ازدهر إبان القرن التاسع الميلادي وحتى القرن الثالث عشر الميلادي، ويمتد من الصين شرقاً إلى خراسان في إيران.

ثالثاً: الحركات الصوفية وقد كانت تشكل رفيداً طبيعياً لنشاط الفاتحين، وقد سجل نشاط كبير لأئمة الطرق الصوفية في غياب حركة الفتح الإسلامي، فقد كان رجال التصوف يتغلغلون في هذه الشعوب، فيحملون إليها الدعوة الإسلامية، وينشرون الثقافة والمعرفة الإسلامية.

ولا شك أن النشاط الأكبر للحركات الصوفية تجلى في سني المحن المتلاحقة، فخلال ما يزيد على ثلاثمائة عام من بطش روسيا القيصرية، ونحو خمسة وسبعين عاماً من الحكم الشيوعي فإن دور الحركات الصوفية في الحفاظ على الهوية الإسلامية ومقارعة الإلحاد كان ماثلاً للعيان بحيث لا ينكره أي باحث حر.

وقد قدمت آسيا الوسطى للعالم الإسلامي واحدة من أكبر الطرق الصوفية انتشاراً في العالم وهي الطريقة النقشبندية التي قامت على يد الشيخ محمد الأويسي البخاري الأوزبكستاني المشهور باسم: شاه نقشبند.

وخلال التاريخ الإسلامي فإن هذه الشعوب لم تكن هامشاً محيداً في الحضارة الإسلامية بل أسهمت فيها بأكبر قدر من المعرفة والجهاد، حتى أصبحت فعلاً مثلاً يحتذى ودليلاً واضحاً على عالمية الإسلام.

فحسبك أن تتحدث في النشاط العلمي الذي قدمه (العجم) وهو الاصطلاح التاريخي الذي كان المسلمون يطلقونه على غير العرب، ليتبدى لك مدى المساهمة الحاضرة التي قدمتها تلك الشعوب لحركة الحضارة في القرون التي غرقت فيها أوربا في عصر الظلام.

ففي العلوم الإسلامية نبغ في التفسير شيخ المفسرين بالمأثور الإمام الطبري من طبرستان وموقعها اليوم في جنوب بحر قزوين وشيخ المفسرين بالرأي الإمام الفخر الرازي من الري وموقعها اليوم في إيران وشيخ المفسرين باللغة الإمام الخوارزمي من خوارزم وهي قصبة تضم عدة بلدان بين تركمانستان وأفغاستان وإيران.

وهؤلاء جميعاً كانوا من العجم.

وليس إيرادي لأسمائهم على سبيل حصر المفسرين من العجم ولكني تخيرت المدارس الكبرى الثلاث في التفسير، وهؤلاء أئمتها بلا منازع.

وفي الحديث فإن الأئمة الستة إلا مسلماً كانوا من الأعاجم أيضاً، فالبخاري من خرتنك في بخارى حاضرة أوزبكستان، وأبو داوود سليمان بن الأشعث من سجستان وهي اليوم في جنوب إيران، والنسائي من نسا وهي مدينة في خراسان بإيران، والترمذي من ترمذ وهي قرب بلخ فيما وراء النهر، وابن ماجه القزويني من مدينة قزوين قرب بحر الخزر، وكذلك فإن الإمام مسلماً نشأ في نيسابور وتتلمذ على الإمام البخاري في بخارى وإن كان في منشئه عربياً قشيرياً.

وفي العلوم المختلفة فإن ابن سينا الشيخ الرئيس كان من بخارى في أوزبكستان والفارابي كان من فاراب في آسيا الوسطى، والبيروني إمام المؤرخين كان من أصل فارسي.

ومن خلال استعراض هذه الأسماء الستة فأنك تتصور مدى ما قدمه هؤلاء للثقافة العربية والمعارف الإسلامية المختلفة.

ولا يتضمن إيراد مثل هذه الحقائق اتهام الأمة العربية بالقصور العلمي، بل هو توكيد لحقيقة عالمية الإسلام.واشتراك الشعوب الإسلامية المختلفة في تأسيس الحضارة الإسلامية، وهي مشاركة معقولة مفهومة إذا علمت أن المسلمين من العرب يشكلون حقيقة 5/1 العالم الإسلامي الكبير فقط.

ويمثل ذلك تأكيداً آخر على رسالة العرب العالمية التي نقلت الحضارة الإسلامية إلى تلك الشعوب فحررتها وأطلقت مواهبها وأنشأت فيها عبقريات علمية وقيادات فكرية فذة ساهمت بشكل كبير في صناعة مجد الأمة الإسلامية الواحدة.

وهذا العطاء في الجانب الحضاري من تلك الشعوب لم يلغ دورها في العطاء الجهادي أيضاً، فقد كانت شعوب آسيا الوسطى أول من تلقى الغزو المغولي وكافحه وصمد في وجهه، وكانوا عبر التاريخ الإسلامي يلقون من روسيا القيصرية ومن أباطرة

الصين والحكومات المنغولية المختلفة أشد العنت والأذى في سبيل صمودهم وثباتهم على بوابة العالم الإسلامي الشرقية.

وقد بدأت معاناة هذه الشعوب الإسلامية يوم تفكك العالم الإسلامي، وانهارت وحدته، وبالتحديد فإن آسيا الوسطى وكازاخستان بدأت منذ القرن السادس عشر تواجه الأطماع الروسية نظراً لضعف الدويلات المغولية التي كانت حينئذ تسيطر على هذه المناطق وتتولى حمايتها، فيما كانت مناطق القوقاز وما حولها حينئذ أحسن حالاً نظراً لقوة الدولة العثمانية التي كانت تشكل ضمانة متينة يحول دون الأطماع الروسية في هذه المناطق.

ولكن شباب الدولة العثمانية لم يطل، وسرعان ما باكرها الهرم، ومنذ القرن السابع عشر فقد أصبح العثمانيون عاجزين عن حماية ممالكهم المترامية الأطراف، فضلاً عن توفير الأمن لحلفائهم القوقازيين في وجه الأطماع الروسية القيصرية التي كانت أرمنستان وجورجيا تذكيها وتلهبها في سبيل سحق الوجود الإسلامي في القوقاز.

وهكذا وجدت القيادات الإسلامية المحلية نفسها موزعة في الولاء بين تركيا العثمانية وإيران الصفوية وروسيا القيصرية أحياناً، ولم تجد سبيلاً لتوحيد صفوفها تحت راية إسلامية واحدة، وذلك بسبب تفاوت الثقافات واللغات وطبيعة المناطق الجبلية القاسية وتباعد الأمصار.

والحديث عن هذه الشعوب الصابرة هو الحديث عن الجهاد العظيم الذي لاتكاد هذه الأمة تعرفه إلا في صدر المجد الأول، ذلك أن المحن تلاحقت على هذه الشعوب، كأنما أراد الله اختبار إيمانها، وضرب الأمثلة للمسلمين في الأرض حول مايلقاه أهل الحق من أهل الباطل سنة الله التي خلت في عباده، قوله سبحانه: **{ألـم* أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُوْلُوْا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُون* وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذينَ صَدَقُوْا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِيْنَ }**

وأنقل لك هنا طرفاً من محاضرة للأستاذ العزيز مصطفى زنداقي الشيشاني وفيها يكشف لك جانباً من معاناة مسلمي الاتحاد السوفياتي عموماً ومسلمي الشيشان [1] خاصة خلال القرون الثلاثة الأخيرة.

ففي منتصف القرن السادس عشر بدأت إمارة موسكو الروسية بالتوسع جنوباً وشرقاً فضمت إليها بالتدريج مناطق التتار، ثم اجتازوا الأورال وسيطروا على بقايا الدولة المغولية الثالثة فيما وراء الأورال، وبذلك ظهرت الإمبراطورية الروسية القيصرية التي اتبعت سياسة الدمج الديني، باجبار السكان المسلمين على الارتداد عن دينهم بالقوة فهدمت المساجد وقضي على رجال الدين، ومنعت جميع أنواع أشكال العبادات الإسلامية والمعاملات الإسلامية، وفي القرن السابع عشر بدأ احتلال الروس لشمالي القوقاز وسهول قزاخستان وتابعوا سياسة اغتصاب الأراضي لأسكان القوزاق مكانهم، وسياسية الدمج الديني مما أدى إلى سلسلة من الثورات الدامية في تتاريا وبشكيريا وغيرها من الأقاليم، وكانت أكبر مقاومة لقيها الروس في عمليات الغزو الاستعماري هذه متركزة في شمالي القوقاز، حيث واجه الروس حروباً مقدسة حقيقة قادها الأئمة ورجال الدين، نذكر منها حرب الأمام منصور 1783م والحركة المريدية حتى 1856م بقيادة الأمام شامل وثورة الداغستان 1877م وغيرها.

. لقد قاوم المسلمون الاحتلال الروسي وسلب الأراضي وتوطين القوزاق والدمج الديني والتنصير، بكل وسيلة لديهم، وحدثت معارك طاحنة اتبعت خلالها القوات الغازية سياسة الأرض المحروقة الخالية من السكان حيث هجرت مجموعات كبيرة من السكان إلى تركيا والأراضي العربية، وأبيد قسم كبير منهم، وأن معظم الجاليات الشاشانية الشركسية والداغستانية المستوطنة الآن في تركيا وسوريا والأردن والعراق ومصر وشمالي أفريقيا ليست سوى ضحية عمليات التهجير المذكورة، وإنني أمثل شخصياً الجيل الثالث من مجموعة خرجت من بلاد الشيشان عام 1865م عقب انتهاء ثورة المريدين وأسر الإمام شامل، واستوطنت مدينة القنيطرة والجولان، وكان سبب الخروج: الاحتلال الروسي والقهر

(1) ألقيت هذه الكلمة في حفل استقبال الدعاة الوافدين من القوقاز في جامع أبي النور صيف عام1993.

والتنصير فلجوؤا إلى الشام وبلاد الإسلام وكانت كلمتهم الرئيسية أولها شام آخرها شام، وشعارهم حفظ دينهم ودين آبائهم رحمهم الله وأثابهم عنا كل خير.

وبالرغم من الأهوال والمآسي التي آساها المهاجرون في الطريق والموت برداً وجوعاً ومرضاً، فقد وجدوا في البلاد الإسلامية صدراً رحباً استقبلهم وضمهم واعتبرهم من الرعايا والسكان الأصليين، وكل ذلك بفضل وروعة التعاليم الإسلامية والأخوة الإسلامية التي لا مثيل لها في أي مكان آخر، أما من بقي في هذه الشعوب فقد لاقى الأمرين على يد الحكَّام القدامى القيصريين والجدد الشيوعيين، حيث تعددت وسائل القهر والقتل الجماعي والتعذيب ومع ذلك حافظوا على دينهم، ولم تنطفأ شعلة الإيمان في قلوبهم، ولأذكر لكم طرفاً مما لاقاه هؤلاء في عصر الحضارة والنور والحرية، لتعلموا منها أن همجية القرون الوسطى والعصور الحجرية كانت أشكالاً بدائية لظلم الإنسان وجبروته أمام الأشكال الحديثة المتطورة المرتكزة على الوسائل التدميرية الجديدة.

لقد أحصت المصادر الروسية في منطقة الشيشان أنغوش أكثر من خمس وعشرين ثورة مسلحة كبيرة شاملة خلال قرنين من الزمن.أي بمعدل ثورة كل ثمان سنوات، كانت كلها بقيادة أئمة الصوفية ومريديهم، دفاعاً عن الوطن والدين والعقيدة، ذهب ضحيتها ثلاثة أرباع السكان، وهدمت أكثر القرى والمدن، وحرقت كل مظاهر الحياة النباتية والحيوانية.ولم يكن الوضع أيام الحكم الشيوعي بأفضل من أيام الحكم القيصري، بل كان أشد وأقصى، حيث هدمت المساجد أو حولت إلى مخازن للغلال أو زرائب للحيوانات وأغلقت المدارس الدينية والمحاكم الشرعية، ومنعت جميع المظاهر الدينية من عبادات ومعاملات وأحوال شخصية، وصودرت الكتب الدينية، وأصبح اقتناء القرآن الكريم جريمة كبيرة ثمنها النفي إلى سبيريا لعشر سنوات إن لم يكن الإعدام المباشر، وألغي الحرف العربي في الكتابة وحل محله الحرف اللاتيني ثم السلافي، وطمست جميع المعالم التاريخية الإسلامية، وشوهت حوادث التاريخ وانتشرت أفكار الالحاد في المدارس ووسائل الأعلام والكتب والصحف، وأصبحت التحية بين الأفراد هي كلمة الكفر و الالحاد، لكن شعلة الإيمان لم تنطفىء، وازدادت تأججاً في النفوس، وأحصي من المريدين عشرون ضعفاً

من عدد الحزبين، والله غالب على أمره، ولما لم تُجْدِ كل هذه الإجراءات، ولم تنطفىء جذوة الإيمان والإسلام من النفوس، عمد الحكام الشيوعيون المستعمرون إلى عملية تهجير جماعي للشعب بكامله واعتقاله من جذوره ورميه في مجاهل سبيريا، في أشد الظروف الجوية قساوة، وبأبشع الوسائل اللاإنسانية ففي أول شباط 1944م دخلت بلاد الشيشان والانغوش فرق عسكرية من القوات الخاصة (الكومندوس) بحجة إجراء مناورات عسكرية، وتمركزت حول كل مدينة وقرية، وفي مساء 22شباط استدعي السكان جميعاً بدون استثناء للاحتفال بعيد الجيش الاحمر في الساحات والاماكن العامة، ثم أبلغوا الحكم عليهم بالنفي وأمهلوا ساعة واحدة للتحضير والخروج، وسمح لكل عائلة بحمل أمتعة بمقدار خمسين كغ فقط، وتبع ذلك مشاهد صاخبة من عمليات قتل جماعي لكل من احتج أو رفع صوته، وتحرك هارباً، ثم سيقوا بسيارات شحن عسكرية إلى أقرب محطات للقطارات، حيث كدسوا في عربات نقل الماشية واقفين مزدحمين بشكل لا يطاق، فمات الكثيرون في العربات المكشوفة برداً، وفي المغلقة اختناقاً، ومن المشاهد المؤلمة أن تموت الفتيات والنساء المسلمات نتيجة حصر البول وتمزق المثانة حياء واستعفافاً، ودامت الرحلة أسابيع خمسة باتجاه قرغيزيا وقازاخستان وشمال شرق سبيريا، حتى حدود منغوليا على مسافة تزيد من 3500كم، وكانت تفرغ حمولات النفايات البشرية هذه في سهول سبيريا المقفرة المغطاة بالثلوج، وكانت حصيلة العمليات الإنسانية في القرن العشرين في بلد نصرة المستضعفين موت نصف السكان المبعدين الذين قدر عددهم أنذاك بنصف مليون إنسان، ليس لهم ذنب جنوه، إلا أن يقولوا ربنا الله ويدينوا بالإسلام، وكان الموت بالقتل رمياً بالرصاص، أو بالأمراض كالتيفوس أو برداً وجوعاً وحرقاً.

وفي البلاد التي حطوا رحالهم فيها مُنع السكان المحليون المسلمون من التعامل معهم، وأوهموهم أن هؤلاء كفار من أكلة لحوم البشر، ولم يعرفوا أنهم مسلمون إلا بعد سنة أو أكثر من الزمن فبدأت الأخوة الإسلامية والتعاطف الديني يؤتيان ثمارهما، مما خفف من معاناتهم قليلاً، ولم تمر سنوات النفي بسلام، بل حدثت ثورات يائسة ومحاولات بطولية للتخلص من معسكرات الابادة والسخرة كانت تنتهي بتصفية الآلاف بأشد الأسلحة

فتكاً (أسلحة نارية وكيماوية وجرثومية) أما من بقي مختبأ أو عاجزاً عن الحركة في بلده أثناء التهجير لمرضه أو شيخوخته، أو كان من الأطفال الشاردين فقد أبيدو عن بكرة أبيهم بلا شفقة ولا رحمة.

ومن المآسي التي فاحت رائحتها، ووصلت إلى وسائل الأعلام يومذاك: جمع قرابة ألف من هؤلاء البؤساء في مزرعة كبيرة في منطقة نائية جبلية وإحراقهم وهم أحياء بصب البترول عليهم وأشعاله، استشهدوا وفاضت أرواحهم إلى بارئها... تشكو ظلم الإنسان لأخيه الإنسان في عصر النور والحرية والعلم، ومع ذلك فقد التجأ بعض الأبطال إلى الجبال والغابات وقاموا بشن غارات انتقامية أقضَّت مضاجع الظالمين المستعمرين مدة طويلة، هذا ومن جهة أخرى فعند إلغاء الجمهوريات التي هجر سكانها، فقد وزعت أراضيها بين الجمهوريات المجاورة، وغيرت أسماء المدن ونقل الكثير من الروس للسكن في مكان المهجَّرين، ولم تسلم أي من المظاهر الحياتية من الأذى والتدمير، حتى المقابر فقد أزيلت ونقلت أحجار الشواهد بما عليها من آيات قرآنية واستخدمت لرصف الطرقات..

وأخيراً.. وعندما تكشف للعالم القليل من الأعمال التي شملت قوميات عديدة بقصد إبادتها، الشيشان والأنغوش والقرشاي والبلقار والكالموك وتتار القرم وألمان الفولغا.. فقد أضطرت السلطات السوفيتية تحت وطأة الاحتجاجات العالمية للإفراج عن بعض المنفيين والسماح لمن بقي منهم بالعودة إلى وطنهم 1957م.

وهكذا عاد الشيشان والأنغوش إلى بلادهم التي اقتطع منها نصف مساحتها وألحقت ببلاد الداغستان والاستين وجورجيا، ولا تزال عشرات القرى الكبرى في هذه المناطق محتلة، وأصحاب المساكن الشرعيين يعيشون قرب قراهم وبيوتهم في مساكن طينية متواضعة، وعندما أذن رب العالمين وانفرط عقد الظلم، وزهق الباطل، آثر الشيشان الاستقلال التام عن روسيا الاتحادية وأقاموا حكومتهم الوطنية على الأسس والمبادىء الإسلامية، ووضعوا لبلدهم نشيداً قومياً، تتكرر فيه شهادة لاإله إلا الله سبع مرات، كلازمة تذكر وراء كل بيت من أبيات القصيدة الشعرية في هذا النشيد، ولكن هل تترك القوى الاستعمارية الغاشمة، والصهيونية المتمثلة باليهود المحليين وأحلامهم بإعادة مجد دولة

الخزر اليهودية القديمة إلى الوجود والقوى المضادة للإسلام، هل تترك كل هذه القوى جذوة الإيمان تضيء من جديد في النفوس؟

وبالفعل لم يطل هذا التساؤل وبادرت (روسيا القيصرية الجديدة) إلى تهديد الشيشان بمختلف الوسائل بغرض التخلي عن الاستقلال، والاندماج الكلي في المجتمع الروسي، وحينما اختار الشعب الشيشاني المضي قدماً في الاستقلال الذي تم إعلانه في 1990/11/27 قام الجيش الروسي بارتكاب عمل إجرامي أحمق، إذ توجهت جحافل عظيمة من الجيش الروسي في مطلع عام 1995 وقامت بمهاجمة جمهورية الشيشان من البر والجو، مستخدمة أعتى وأعنف آلاتها الحربية المدمرة وهو تعامل همجي غير مبرر في وقت تحاول روسيا فيه التنصل من آساليب القهر الشيوعي التي كانت تتعامل بها مع الأقليات.

ومع أن ميزان القوى ليس فيه أدنى تقارب أو تكافؤ إذ يواجه جيش الشيشان وهو جيش حديث التكوين لا يزيد أفراده عن ثلاثين ألف مقاتل، جيشاً روسيًّاً هائلاً كان يوصف قبل سنين قليلة بأنه أقوى ترسانه عسكرية في العالم، فإن الشيشان بهروا العالم بصمودهم، وكانت عاصمتهم غروزني الواقعة في أرض سهلية مكشوفة مرشحة بحسب آراء المراقبين أن تسقط خلال ساعات قليلة على يد الجيش الروسي ولكنها مع ذلك صمدت نحو ثلاثة أشهر وأربكت القيادة الروسية إلى حد أن الرئيس الروسي يلتسين اضطر إلى تغيير جنرالات الحرب عدة مرات والاستعانة بالقوات الخاصة حتى تمكن جيشه من دخول غروزني وهي مدينة أشباح..

ولكن سقوط غروزني ليس إلا بداية لمرحلة طويلة من الجهاد الإسلامي والوطني في جبال الشيشان العنيدة التي لم يطل شموخها من قبل قيصر ولا (أمين عام).

ولست أجهد نفسي بالتعريف بطبيعة هذا الشعب المحارب الجسور، الذي يأنف من الذل، ويشتاق إلى الموت، فقد أثَّرت أحداث القرون المتواصلة من الجهاد على أرضه في تكوين شخصيته، وسوف تقرأ فصولاً من قصيدة ابن دنوغونة في ذكر القنا والأسنة،

والدماء والأشلاء، لم يبلغ أن نظمها شاعر من قبل، وهي ترسم صورة هذا الشعب المسلم وتعيد إلى الأذهان كلمة خالد سيف الله لصاحب الروم:

لقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة.

ولعلك تدرك هذه الحقيقة حينما تقرأ هذه الكلمات الملتهبة من النشيد الوطني لجمهورية الشيشان:

. في ليلة مولد الذئب خرجنا إلى الدنيا..

ومع زئير الأسد في الصباح سمونا بأسمائنا...

لا إله إلا الله

. في أعشاش النسور، أرضعتنا أمهاتنا..

ومنذ طفولتنا علمنا آباؤنا فنون الفروسية..

لا إله إلا الله..

. لهذه الأمة ولهذا الوطن ولدتنا أمهاتنا..

ووقفنا دائماً شجعاناً نلبي نداء الله والوطن..

لا إله إلا الله..

. نسور الجبال ألفتنا فقاسمناها القمم الشماء والأجواء وطناً..

واجتزنا بإباء وكبرياء التحديات والأهوال، وشعارنا دائماً..

لا إله إلا الله

.كرامتنا وكبرياؤنا لن نتخلى عنهما، ولن تلين قناة عبر السنين..

حتى ولو تحولت جبال الصوان إلى رصاص ذائب

لا إله إلا الله..

. ومحال أن ندفن في هذا التراب إلا بكرامة وشرف..

حتى ولو تحول هذا التراب الأسود إلى بارود متفجر..

لا إله إلا الله

. لن نستكين ولن نخضع لأحد إلا الله..

فإنها إحدى الحسنين الشهادة أو النصر..

لا إله إلا الله

. جراحنا تضمدها أمهاتنا وأخواتنا الصابرات

فتثير فينا مشاعر القوة والتحدي فننشد:

لا إله إلا الله

. إذا الجوع داهمنا سنأكل الجذور..

وإذا اشتد بنا العطش نرتشف قطرات الندى..

لا إله إلا الله

. وفي ليلة مولد الذئب خرجنا إلى الدنيا..

. ونحن دائماً مطيعون لله وأوفياء للخلق والوطن[1] ..

لا إله إلا الله

(1) النشيد الوطني الشيشاني . تأليف الشاعر الشيشاني: ايدميروف أبو ذر

. تلحين الموسيقا الشيشاني: علي دماييف . ترجمه إلى العربية: فاروق توبولات.

وبعد..

فإن المسألة الشيشانية ليست إلا فصلاً واحداً من فصول المأساة التي لم تكتمل بعد، فقد انفرط الحكم الشيوعي في هذه الأمصار مخلفاً وراءه ألف همّ وهمّ، وفي كل بلد إسلامي أزمات اقتصادية خانقة، وصراعات حدودية مقلقلة، ولا تزال آثار التجهيل الذي مورس على المتدينين في العلوم كافة، وفي المعرفة الإسلامية خاصة، لا تزال تحول دون قيام جمهوريات مستقلة قوية قادرة على تحمل تبعات المستقبل..

ويبلغ عدد المسلمين في مناطق الاتحاد السوفياتي نحو 65 مليون مسلم، وهم يتزايدون بنسبة كبيرة تصل إلى 3ر5 بالألف، ويتوقع أن يصل عددهم عام 2000م إلى نحو77 مليوناً، ويعيشون على رقعة واسعة من الأرض، غنية بخيراتها، تبلغ مساحتها 4ر5 مليون كم^2 وهو يساوي مساحة الدول العربية في آسيا مجتمعة، ومنها دولة نووية أساسية في العالم وهي كازاخستان، وهي إجمالاً غنية بثرواتها المعدنية قوية بانتاج الصلب.

وإذا كان هذا الخطاب موجهاً للمسلمين عموماً فإنه موجه بالدرجة الأولى لمسلمي بلاد الشام، إذ تقع على عاتقهم في هذه المرحلة مهمة تحقيق هذا الانفتاح والتواصل مع تلك الشعوب ونشر المعارف الإسلامية وبث الدعاة في ربوع تلك البلاد.

ويحتم لزوم هذه المسؤولية على أهل الشام اعتبارات أربعة:

أولاً: جانب جغرافي:

تشكل سوريا والعراق أقرب البلدان العربية جغرافياً إلى هذه الجمهوريات، ولا شك أن النهضة التاريخية المطلوبة في تلك البلاد ستتلازم بالتأكيد مع توجه إلى البلاد العربية، إذ إن عودة هذه الشعوب إلى ثقافتها الإسلامية مرتبطة بتوجهها إلى اللغة العربية، وهذه الأختيرة تلتمس في عواصمها بالطبع، وإذا كان العراق له في همه الداخلي شغل شاغل، فإن سوريا مؤهلة أكثر من أي مصر آخر للمساهمة بدور مصيري في صياغة هذا التوجه الجديد.

ثانياً: جانب تاريخي:

فقد استقبلت بلاد الشام خلال التاريخ وجبات كثيرة من المهاجرين، الذين كانوا يفرون من المعارك المستعرة في تلك البلاد، وكانوا يختارون الشام لأسباب اعتقادية، تتعلق بفضائل الشام المنصوص عليها في الكتاب والسنة، ويمكنك اليوم أن تلحظ أحياءً كاملة في المدن السورية، وبلدات وقرى في أطرافها تسكنها جاليات إسلامية مهاجرة من آسيا الوسطى والقوقاز على سبيل المثال: حي المهاجرين في دمشق وقرى الجولان السوري وكذلك أسماء العوائل التي تشير إلى أصولها التاريخية فتجد عوائل: البخاري والكرمانشاهي والداغستاني والسمرقندي والطاشكندي والخوارزمي والتركماني والآذربيجاني والأباظة (الأفخاز)..

وهذه الحقيقة التاريخية تبعث المسؤولية في نفوس المقيمين من أبناء تلك البلاد في مختلف مواقعهم الاجتماعية والعلمية ليلتفتوا بمد يد الواجب لأرض آبائهم وأجدادهم فيصلوا ما انقطع ويرقأوا ما نكأ ويعمروا ما انهدم.

وهذا يُسهِّل غربة اللغة والثقافة، حيث يجد الوافدون من يحتضنهم ويرعاهم من إخوانهم وعشائرهم، ومن يرحل إليهم للدعوة والبلاغ من أصولهم وإخوانهم.

ثالثاً: الجانب الديني:

وهو اعتبار هام، إذ جاءت الأخبار الصحاح بفضل الشام ومنزلتها عند الله في آخر الزمان، ما روي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ: (**يوم الملحمة الكبرى فسطاط المسلمين بأرض يقال لها الغوطة فيها مدينة يقال لها دمشق خير منازل المسلمين يؤمئذ**).

. وروى الترمذي بإسناده عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: كنا عند النبي ﷺ يوماً نؤلف القرآن من الرقاع فقال رسول الله (**طوبى للشام**) فقلت: لم ذلك يا رسول الله؟ قال: (**لأن الملائكة باسطة أجنحتها عليها**).

وهذه المعاني مستقرة في ذهينة تلك الشعوب، وهي تعرفها أكثر مما يعرفها أهل الشام، بل إن كلمة (شام) لا تكاد تجري على ألسنتهم إلا مقرونة بلقب التشريف (شام شريف)، وقد شهر التاريخ الإسلامي مئات العوائل التي تركت بلادها ويممت صوب الشام ابتغاء البركة المنصوص عليها في نصوص الكتاب والسنة كما ذكرنا..

ولا شك أن علاقة الأشواق هذه يجب توظيفها كما يتناسب مع مصالح تلك الشعوب في العلم والمعرفة والمواقف السياسية والمنافع الاقتصادية المتبادلة، وهي بلا ريب واحد من الاعتبارات التي تحكم السياسة العامة في تلك البلاد.

رابعاً: جانب موضوعي:

ويتمثل في توفر الخبرة والتجربة في المؤسسات الإسلامية في الشام لهذا الجانب من التواصل، فالمؤسسات العلمية والدعوية في الشام وعلى رأسها المجمع الإسلامي الكبير (جامع أبي النور) تقوم بدور ريادي في هذا الجانب آتى أكله في تخريج مئات الدعاة العاملين الذين راحوا يضربون في الأرض، يؤدون رسالتهم في الدعوة إلى الله عز وجل في مناطق آسيا الوسطى وقفقاسيا، وأذكر على سبيل المثال أنه تم اليوم إحداث أحد عشر معهداً شرعياً في القوقاز وآسيا الوسطى وذلك بالتنسيق والتعاون مع المجمع الإسلامي بدمشق.

قصيدة
الأزهار الروية في المدائح النبوية

للشاعر الداغستاني
نجم الدين بن محمد دنوغونة

الفصل الأول

1. مَا شِمْتُ بَرْقاً سَنى مِن أُفْقِ ذي سَلَمِ ... إلا أَسَلْتُ دُموعَ العيَنْ كَالدِّيَمِ

2. وما سَرَى بِيَ مِن سَلْعِ نَسيمُ صَبا ... إلا أَثَار الجَوَى في جِيرَةِ العَلَمِ

3. إنْ أَنْسَهُم ذَكَّرْتنيهم بُروقُ دُجى ... أوشَمْنَ... لولا الهوى العذريِّ لم تُشَمِ

4. هم آنسوني، وأنسَوني سعادَ إذا ... آنسْتُ نارهُمُ من جانبِ الإضَمِ

---

1. شمت: نظرت، سنى: ظهر، ذي سلم: اسم شجر في المدينة المنورة، الديم: الأمطار.

2. سلع: اسم جبل بالمدينة المنورة، ونسيم الصبا: اسم للرياح العليلة تهب من مشرق الشمس، وقال ابن سيرة: هي ريح تهب إلى البيت الحرام، تحن إليه، والجمع بين المعنيين ممكن، آثار الجوى: حرقه العشق وشدة الوجد، جيرة العلم: اسم موضع في المدينة المنورة.

3. بروق: جمع برق، الدجى: الظلمة، أوشمن: لمعن، وأوشم البرق إذا لمع.

4. الإضم: وادٍ يشق الحجاز، والمدينة المنورة فيه.

5. كم ليلةٍ بِتُّ أرعى سرْحَ أنْجُمِها ... أطوي الأضالعَ من وَجْدٍ على أَلَمِ

6. حيرانَ.. يحرِقُني وَجْدِي وتُغْرِقُني ... عيني بدمعٍ كهامي الودْقِ مُرْتَكِمِ

7. أستقبِلُ الريحَ إذ تسْري.. أسائُلها ... هل عندها خبرٌ من تلكمُ الخِيمِ

8. مستنشِقاً أَرَجاً تأتي به عَبِقاً ... كما استعارتْ شذاً من غربِ ذي سَلَمِ

* * *

9. أَسْتَكْتِمُ القلبَ أسراراً فَتَنْشُرُها بين الوشاةِ شؤونُ الأدْمُعِ الرُّذُمِ

10. والقلبُ قد كان قبرَ السرِّ يكتُمُهُ إلا الهوى فهو سِرٌّ غيرُ منكتمِ

11. إني أُسرُّ الهوى والدمعُ يُعلِنُهُ ولونُ وجهي بفحوى الحالِ لاالكَلِمِ

12. مالي وكتميَ ما يفشي سرائرَهُ سعايةُالأفضحَيْنِ الدمعِ والسقمِ

13. كلاهما خطَّ في خدَّيَّ..لو قرؤوا قرائنَ الوجْدِ بالجادِيِّ والعنَمِ

---

5. بت أرعى سرح أنجمها: أي أمضيت الليل مراقباً للنجوم السارحة، كناية عن طول السهر، أطوي الأضالع: كناية عن الصبر على ألم الجسد المعبِّر عنه بالأضالع. جمع ضلع.

6. هامي الودق: المطر الغزير، هامي: اسم فاعل من هَمَا أي انهال، مرتكم: متجمع.

8. الأرج: نفحة الريح الطيبة، عبقاً: العبق هو مايفوح من المرء إذا هو تطيب، عرب ذي سلم: أهل المدينة، والمراد هنا: النبي❐

9. شؤون الأدمع الرذم: الشؤون: عروق الدموع من الرأس إلى العين، والرذم السائل إذا قطر عمودياً.

12. سعاية الأفضحين: أي إنَّ السرَّ المكتوم في قلبي يفضحه سعي الدمع في وجهي، والسقم في جسدي، وعبر عن السقم والدمع بوَصف: الأفضحين، من الفضيحة لأن كلاً منهما يفضح المحب، ويكشف عن شدة وجده.

13. الجادي اسم فاعل من الجَود وهو المطر الغزير: والعنم نوع من الشجر له نَوْرٌ أحمر، يضرب به المثل في امتلائه بالماء.

14. بل عَبَّرَتْ عَبْرتي الحمراءُ عنه.. وإنْ غيَّرْتُ صُفْرَةَ وجهي صبغةً بدمِ

* * *

15. ما أعذبَ العشقَ لولاه يعذِّبُني وما أحيلا هوى أهلِ الحمى بفمي

16. لكنَّ أوَّلَهُ حلوٌ وآخرُهُ مرُّ المذاقِ مُزيلٌ لذَّةَ النِّعَم

17. هل تعلمون لداء الحبِّ أدويةً فالحب أهدمُ للَّذَّاتِ من ألمِ

18. لو كنت أعلمُ أنَّ الحبَّ يُهْلِكني عالجْتُ أولَ هَيْم القلب بالهِمَمِ

19. لا حبَّذا الحبَّ يُبْقي كالخيالِ فتىً قدْ طالما خِيْلَ قبلَ العشقِ ذا وَرَمِ

20. يعيدُ كلَّ سمينِ الجسمِ أنْحَلَ من خطِّ المهندسِ في القرطاسِ بالقَلَمِ

21. يكادُ يخفى على الأبصارِ صورتُهُ لولا التأوُّهِ لم يُحْسَسْ ولم يُهَمِ

22. يبكي على طَلَلٍ لم يبقَ منه سوى رسمٍ تغيَّرَ بالأرياحِ و الدِّيَم

23. يا عاذلي في الهوى إن كنتَ تُنْصِفُ لي تِهْ تارةً بالهوى مثلي وَهِمْ وَلُمِ

24. فكم أطالَ لي العُذَّال وَعْظَهُمُ والكلُّ ما بين معصيٍّ و مُتَّهَمِ

14. عبرتي: دمعتي.

15. أهل الحمى: أهل الحرم الشريف، والمراد النبي ❐.

17. أهذم: أكثر إتلافاً، وهذم الشيء: غيَّبه جميعاً.

18. هَيم القلب: الهيم من الهيام، وهو فرط العشق، والمعنى ضياع القلب وجنونه من شدة العشق.

19. ذا ورم: كناية عن الصحة والعافية، يبقي كالخيال: كناية عن السقم من شدة الوجد.

22. رسم: مايتبقى من الطلل بعد جريان الريح عليه، الديم: المطر الذي يدوم بسكون، لا رعد ولا برق فيه.

23. ته: فعل أمر من تاه.

25. بل كلُّ نُصحٍ نهى العشَّاقَ فهو سُدىً كالريحِ عنهُ صماخُ الصَّبِّ في صَمَمِ

* * *

26. واهاً على معهدٍ كانت كواعِبُهُ يُطْرِبْنَني بأغانيهنَّ والنَّغَمِ

27. إذْ لُمَّتي كجناحِ النسرِ وارسةٌ ونورُ وجهي كنورِ البدرِ في الظُّلَمِ

28. وللشبيبةِ إذ أزهو بها مَرَحٌ يَسِلُّ قلبيَ قهراً من يد الندمِ

29. أطيبْ بها مَجْمَعَ اللَّذَّاتِ أَجْمَعَ. لو .....لا شيبتي سلبتْني لـذَّةَ النَّعمِ

30. ما كاد تُنْشِطُني الأيَّامُ مُذْ نَشَرتْ بالشَّيب في شَعرِ رأسي رايةَ الهَرَمِ

31. وطارَ عنِّي طيفٌ قد هممتُ بأن أصطادَ شارِدَه في شبكةِ الحُلُمِ

32. وباحَتِ الريحُ سرَّاً بلَغْتهُ على بريدها من شذا حَيّى على العلَمِ

* * *

* * *

25. صماخ الصب: سمْع المحب.

26. المعهد: اسم للمكان المعهود بالحديث عنه، كواعبه: جمع كاعب وهي الحسناء إذا نهد ثديها.

27. لمتي: اللمة: هي أجمة الشعر، مقدمة الشعر مما يلي الجبهة. أراد بذلك الإشارة إلى شقرة شعره في فترة الشباب، وهو معنى لم يسبق إليه. وارسة من الورس وهو نبات أصفر يتخذ للصباغ، ويقال للصخرة إذا كثر عليها الطحلب فاخضرت، شجرة وارسة، والكناية هنا عن الحيوية والنشاط.

33. فهَيَّجتني أشـواقي إلى مِدَحٍ ... تُنهى إلى مَنْ إليهِ مُنتهى الكرمِ
34. أزيرُهَا هاشمياً في أسرَّتهِ ... نورٌ..ومن راحيته منبعُ النعـمِ
35. سرُّ السراره لبُّ اللبُّ من مُضَرٍ ... لولاهُ لم يَخْرِجِ الكونانِ من عَدَمِ
36. يمحو الدُّجى ويضيىءُ العالمينَ بما ... أشْرَقْنَ من سُرُجِ الأحكامِ والحِكَمِ
37. هو الرسولُ الذي لولا مكانَتُه ... لكانَ كَنزاً خفيَّاً بارىءُ النِّسَمِ
38. مُحَمَّدٌ تاجُ هذا الكونِ جوهرةٌ ... جلّت.. ولو قوبلَتْ بالخلقِ عن قِيَمِ
39. حُلوُ السَّجيَّةِ..ميمونُ النقيبةِ..لا ... تُخْشى بوادِرُه بالبَطش والنِّقَمِ
40. رأسُ العوالِم.. لولا كانَ لانعطلَتْ ... وهنَّ فوضى بِلا رأسٍ ولا علمِ
41. مَنْ نورُهُ سِرُّ خلقِ الله أوجدَه ... مِنْ نورِهِ قبلَ خلقِ اللوحِ والقلمِ
42. كأنما سِرُّه روحُ العوالمِ مذْ ... فيها سرى سَرَيانَ النورِ في الظّلمِ

---

34. أزيرها: من الزور وهو السير الشديد مع الشوق، والمراد أنني أقصد بمديحي بلوغ روضة الهاشمي❐
في أسرَّته نور: في ملامح وجهه، ويقال: أشرقت أسارير وجهه، يريد ملامح وجهه.
35. السرارة: مجتمع الأسرار.
37. أراد الشاعر الإشارة إلى حديث: كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت محمداً فبه عرفت، وحديث: لولاك لولاك ماخلقت الأفلاك.
وكلاهما حديث موضوع لا يخفى علىالباحث، ولا شك أن شاعرنا توهم صحة هذا النص فنظم معناه.
39. ميمون: مُبارك، النقيبة: الطويّة: أي الخلق الخفيّ الذي يحتاج التعرف عليه إلى نقب وبحث.
40. لانعطلت: أي لتعطلت العوالم. علم: راية.

43. أقضى العبادِ لحقِّ الله.. أعرفُهم ... به..وأرسخُهم في العلمِ والحكمِ
44. نورٌ بدى.. وهيولاه وصورتُه ... من عنصر الأحمدينِ الحُسْن والكرمِ
45. أعيا لدقّتِهِ معنى حقيقتِهِ ... عن وصفِهَا فُصَحَاءِ العُربِ والعَجَمِ
46. جلّت عن الوصفِ أوصافٌ لهُ عَظُمَتْ ... عنْ أنْ يُبَيِّنَها ذو القَولِ والقَلَمِ
47. لم تبصرِ العَيْنُ معناه ولو بَصُرَتْ ... عينَ الحقيقةِ منهُ العينُ لَمْ تَنَمِ

48. وإنَّما أَدْرَكَ الرَّاؤون صُورتَهُ لا كنهَه فهو عنْهُمْ أيُّ منكتمِ

49. لو أدركوا كنهَ معناهُ إذا نظروا لما نسوه ولو في ساعةِ الحُلُمِ

* * *

50. حَازَ الكمالاتِ طَرَّاً غيرَ مشتَرَكٍ فيها..وشُمَّ المعالي غير مُزدحَمِ

51. وخلَص الكفرَ مما قد أَصَرَّ على تعظيمِه دونَ ربِّ النَّاس من صنمِ

52. والشَّرعَ شرَّفَهُ..والشِّرْكَ هَوَّنَهُ بمَشْرَفيٍّ على الأرواحِ محتكمِ

53. دعى إلى الله مَنْ لم تأتهم نذرٌ بكلِّ مَوْعِظَةٍ حسناءَ والحِكَمِ

54. ومَنْ أبَوْا أحكمَ الأقوالِ سلَّ لهمْ سَيْفَاً ينفِّذُ حكمَ القولِ والقَلمِ

---

44. هيولاه من الهيولى وهو أصل الشيء.

48. كنهه: حقيقته. أيّ منكتم: بالغ الكتمان.

50. شمّ المعالي: ارتفع إليها، أي بلغها بأنفه.

52. المشرفيّ: المشارف قرى من أرض اليمن تنسب إليها السيوف المشرفية المعروفة بصفائها ومضائها.

55. حتى محا دينُهُ الأديانَ ينسخها كأنَّه الصبحُ يمحو غَيْهَبَ الظُّلَمِ

56. وعقَّم اليُمْنَ يُمناهُ..وقد بَسَطت فيهم أمَانَيْن..من فَقْرٍ ومن نِقَمِ

* * *

* * *

---

55. غيهب: شدة سواد الليل.

56. أمانين: مثنى أمان.

57. أبَانَ مولدُه عنْ سعدِ طالِعِه مُذْ ذُرَّ كوكبُه من ضِئضِىء الكرمِ
58. ما زالَ مذْ وَلَدَتْهُ الأمُّ متَّصِفاً باليمْنِ يُدعى أميناً غيرَ مُتَّهَمِ
59. وزاده يُتْمُه بين الورى شرفاً كما يزيدُ غَلاءُ الدُّر باليُتمِ
60. بُشرى لابنةِ وَهَبٍ إنَّها وُهِبَتْ دونَ العَوالمِ كَنزاً غاليَ القيمِ
61. لم تُبْقِ في حيِّزِ الإمكانِ أكرمَ مِنْ طه ابنها خيرِ مخلوقٍ من العدمِ
62. يا فخرَها حملتْ مَنْ قَطُّ ما حَمَلتْ بناتُ حواءَ من يحكيهِ في الشِّيَمِ
63. إذ لم تلدْ صِنْوَهُ حُبلى وما حَبِلتْ أُنثى يمثلِ ابنها في الفضل والكرمِ
64. شحَّت بُمشبِهِهِ أيدي الزمان..كما عن كفؤِهِ رَحْمُ هذا الكونِ ذو عُقُمِ

* * *

65. خرَّتْ لهيبتهِ الأوثان وانهملتْ عيونُ عابِدها بالأدمعِ السُّجُمِ
66. والفرسُ إذ عاينوا الأيوانَ مرتجساً تفرَّسَوا باستلابِ الملكِ والنعمِ
67. وأوجسوا الخوف والنِّيرانُ خامدةٌ وأيقنوا قربَ يومِ الويلِ والنِّقَمِ
68. وراعَهم يغتةً غورُ البحيرةِ إذ لمْ تُلْفِ منها ولو مقدارَ مليءِ فمِ

---

57. الطالع: الحظ، ذرّ: بدا وظهر، الضئضئ: الأصل والجوهر.
62. يحكيه: يشبهه.
65. السجم: الغزيرة.
66. مرتجساً من الرجس وهو الدنس، تفرسوا: تنبؤوا.
68. غور البحيرة: أي جفافها، والمقصود بحيرة ساوة لما روي أنها جفت يوم مولد النبي❐.

69. والجنُّ تعزفُ بالأشعارِ مُشْعِرَةً بأنَّ دينَ ذوي الأوثان لم يَدُمِ
70. وقبلها عَلَّمَ الكُهَّانُ مُعْلِنَةً بقربِ مولدِ خيرِ العُرْبِ والعَجَمِ
71. وقد تكرَّرَ في جوّ السَّماءِ لهم معاركُ الحربِ بين الجينِ والرُّجمِ
72. وكُبكِبَتْ في طريق الوحي موكبُهم ما بين محترقٍ منهم ومُنْهَزِمِ
73. وأصبحت وهي لا تدري لما حُرِمَتْ عن استراقِ غيوبِ اللوحِ والقلمِ
74. هيَ القرائنُ تُبدي الحقّ صامتةً وليسَ يكذِبُ ذاتَ الصمتِ والبكمِ

75. فألقِ سمعَكَ للأحوالِ إنْ نطَقَتْ فالحالُ أشرحُ أحياناً منَ الكلمِ

76. هَلاَّ إذا ما عَموا عمَّا رأوا سمعوا كلا.. فكلُّ صِمَاخِ الشِّـركِ ذو صَمَمِ

* * *

* * *

---

70. علّم الكهان: أي أشارت الكهان إلى علاماته.

71. الجين: الشهب، الرجم: إشارة إلىالشهب التي ترجم بها الشياطين، وقد ورد أن الجن كانت تلتمس العلم في السماء فلما ولد النبي❐ حبسوا عن دخول السماء بالشهب والرجوم.

72. وكبكبت: الكبكبة: الرمي في الهوّة.

73. لما حرمت: هي لم الإستفهامية، ومدها في متن القصيد قبيح، وكان حقه أن أن يقول: لم احتسبت.

77. أعظِمْ بِخُلْقِ نبيٍّ لم يَدَعْ أثَراً ... للبحرِ منْ كرَمٍ والدَّهرِ مِنْ هِمَمِ
78. هوَ الحكيمُ الذي لقمانُ يغرقُ في ... قُطَيرةٍ من بِحارٍ فيهِ منْ حِكَمِ
79. وخاتمُ الرسلِ خيرُ الخلق أفضلُ مَنْ ... مشى على متنِ هذي الأرضِ بالقَدمِ
80. مهما دعوناه للجُلَّى جَلا كُرَبَاً ... وجَاءَنا نصرُهُ سرعانَ من أَمَمِ
81. بدى فقيراً فأغناهُ الإلهُ كما ... آوى وأدَّبَهُ بالعلمِ في اليتمِ
82. ما زال حيَّاً وحوّاءٌ وآدم في ... طِينَيهما غيرَ موجودينِ منْ عَدَمِ
83. حتى غدا أَطْهَرُ الأصلابِ تودِعُه ... من كلِّ ذاتِ عفافٍ أطيبَ الرَّحِمِ
84. ولم يزلْ نورُه المعروفُ مُنْقَلِباً ... في السُّجَّدِ الغُرِّ من أجدادِهِ القُدُمِ
85. حتى غدا واضحاً في وجهِ آمنةٍ ... كغُرّةِ الصبحِ ينفي شكَّ متَّهِمِ

* * *

86. يا يومَ مولدِ خيرِ الخلق كَمْ ظهرتْ ... بهِ خوارقُ مِنْ معنى ومِنْ كَلِمِ
87. أَهلَّ تُعرفُ بالسِّيما سِيَادَتهُ ... وتمَّ كالبدرِ مطبوعاً على الكَرَمِ
88. فجاءهُ في حراء الوحيُ، يقرؤه ... باسم الذي علَّم الإنسانَ بالقلمِ
89. وكان قبلَ التحلّي بالرسالةِ قد ... يُوحى إليهِ إذا ما نام بالحِكَمِ

---

80. أَمَم: المكان القريب.
85. غرة الصبح: إشراقة الفجر الأولى.
87. أهلَّ: ظهر وأشرق. السيما: العلامة.
88. (في حراء): أصلها في المخطوطة (بالحراء).

90. فكلُّ رؤياه وحيٌ لا يشوبُ به ... شوائبُ الشَّكِّ والأضغاثِ من حُلُمِ
91. يختصُّ بالعينِ منه النومُ يُغمِضُها ... وقلبُه أبداً يقظانُ لَمْ يَنَمِ

* * *

92. هو الحبيبُ الذي يرجُوهُ مختبطٌ ... أضاقَ ذاتَ يديهِ ضُغطةُ العُدُمِ
93. سمحُ اليدينِ على العلاّتِ..جادَ كأنْ ... في كفِّهِ كيمياءُ الجُودِ والكرمِ
94. كلتا يديهِ غياثٌ تغنيانِ لهم ... عن نائلِ الأجوَدَينِ البحرِ والدّيَمِ

95. ما للمكلِّفِ كَفَّيْهِ مكارِمُهُ وما التخلُّقُ مثلَ الخُلْقِ والشِّيَمِ

96. والسُّحبُ إنْ أَمطرَتْ غيثاً فرَاحَتُه في المَحْلِ ممطرةُ الآلاءِ والنِّعمِ

97. راحٌ ترى البذلَ دَيْناً استدان بِه أو تستَدِيْنُ بدينِ الكَعبِ والهَرِمِ

---

90. لايشوب به: لا يخالطه.

91. إشارة إلى حديث النبي❐: نحن معاشر الأنبياء تنام عيوننا ولا تنام قلوبنا.

92. المختبط: طالب النوال، السائل من غير قرابة أو رحم أو صداقة أو يد سابقة. كناية عن عدم استحقاقه للنوال لولا جود المعطي وكرمه. الضُّغطة: اصطلاح يطلق على المستدين بماطل في أداء دينه حتى يحط عنه الدائن شيئاً. العُدُم: جمع عديم وهو المفلس، فيكون المعنى هنا أن الشاعر ضاقت ذات يده من كثرة كرمه ورحمته بالمعدومين، وهو هنا يمدح نفسه بحسب الظاهر، ولكن المراد: إنما يقصد الكرام الكرام، فإذا كان أهل الجود والبذل قد وقفوا بباب النبي ❐ فمعنى ذلك أنه ❐ رئيس الأجواد، وأمير الأسخياء.

93. كيمياء الجود: منبع الجود.

94. نائل الأجودين: ما يناله السائل من أكبر مصدرين للجود وهما البحر والمطر.

95. أراد أن الكف التي تنفق تكلفاً لن تبلغ المكارم، التخلق: تكلّف الأخلاق، الخُلْق: هو المكارم والأخلاق المطبوعة في النفس أصلاً

96. المحل: القحط، الآلاء: النعم.

98. والبحرُ إن أخْرجوا من قَعْرِهِ دُرَرَاً فقلبُه مَخْرَجُ الأحكامِ والحِكَمِ

* * *

99. يا خير من أَمَّه في المَحْلِ ذو أملٍ أوهى عرى العيشِ منه عَضَّةُ الإزَمِ

100. وعادَ مِن عنده جذلانَ أو قَرَهُ جوداً وبِرَّاً أبرُّ الناسِ بالكرمِ

101. تلاطَمَتْ راحتاهُ بالنوالِ فهلْ سمعتَ يا صاحِ بحراً غيرَ ملتَطِمِ

102. ماشامَ برقَكَ يومَ القحطِ ذو ظَمأٍ إلا ورَوَّيْتَهُ بالسَّلْسَلِ الشَّبِمِ

103. وإن أتاك مسيءُ النَّاسِ مُعتذراً هزَزْتَ للعفْوِ عِطفَي غيرِ مُنتقمِ

104. تعفو وتصفحُ عن عزٍّ ومقدرةٍ ولا تقابلُ مَنْ قد تابَ بالنِّقَمِ

105. تلقاهُ هشَّاً بوجهٍ زادَ رَوْنَقهُ بِشْرٌ..وعنْ مثلِ سِمْطِ الدُّرِّ مبتسمِ

106. يكادُ يُخجل بدراً من تهلُّلِهِ إذا رأى خَجَلاً في خَدِّ مجترمِ

107. وما تُطرَّقَ يوماً ما يُكَدِّرُهُ إلا وصفَّاهُ منه صفْوةُ الشِّيَمِ

99. أمَّه: قصده، عرى العيش: سبل العيش، عضة الإزم: العضة الداهية والمصيبة، والإزم جمع أزمة وهي سنةُ القحط.
100. أوقره: أثقل عليه حمله بما منحه من كرمه.
102. شام برقك: قصد طلعتك البارقة، السلسل: الماء العذب، الشبم: البارد.
103. هز عطفيه: كنايةٌ عن ترفُّعِ القادر، والعطفان هم الثوب والسيف، وقيل بل طرفي العنق حيث يلقى الرداء.
105. سمط الدر: عقد الدر الدقيق.
106. أراد أنه ❐ دائم البشر متهلل الوجه، وأكثر مايكون بشره حين يلقى المجرم إذا جاءه معتذراً خجلاً.
107. صفوةُ الشيم: خيار الأخلاق الفاضلة.

108. لا يُنقصُ الغيظُ حُسناً من أسِرَّتِهِ والغيظُ ما كادَ يبقي بهجةَ الوجِمِ
109. لم يضمرِ الغدرَ قلبٌ منه رقَّ ولم يطوِ الضلوعَ على غِلٍّ ولا أَضَمِ
110. واستوعبَ الفضلَ لا تُبقي مكارمُهُ لسائرِ النَّاسِ إلا السؤرَ مِنْ كَرَمِ
111. فداؤهُ مقشعرٌّ إذ تقا بلُه بكلِّ فظٍّ غليظِ القلبِ منتقمِ
112. له مخائلُ جودٍ لا تخونُ..فَمَا سِوى محيَّاهُ عندَ المحَل لا تشِمِ
113. وثقْ بنائِله مهما تبسَّم..لا كخُلَّب البَرْقِ قد يخلو عن الدِّيَمِ
114. أغرُّ أبيضُ يُستسقى بدعوتِهِ ويُسْتَزَالُ بلاءُ القحطِ في القُحَمِ

* * *
* * *

108. أراد أن الغضب الذي يذهب بهجة الوجه من شدة الوجوم والعبوس، هذا الغضب لايمكن أن ينقص بهاء وجه الحبيب لأنه لايغضب أصلاً.
109. أضم: الأضم الحقد والحسد.
110. السؤر: مايبقى في الكأس من أثر الشارب.
111. فداؤه مقشعر: لم يظهر لي مراد الشاعر. ولعل قصده أن عفوه ❐ عن المجرمين تقشعر له جلود المؤمنين، ويناسب ذلك تمام النص: إذ تقابله بكل فظ غليظ.
112. مخائل جود: علائم جود، محياه: وجهه، المحل: القحط، لا تشم: لاتقصدْ.

113. نائله: عطاياه، ومهما: بمعنى كلما، أراد أن تبسمه ❐ إشارة إلى وجود خير مؤكد. ليس كالبرق الكاذب الذي ربما يبرق ولا يكون فيه مطر.

114. يستزال به القحط: يطلب به زوال القحط، والقحم جمع قحمة وهي السنة الشديدة.

115. بالمؤمنينَ رؤوفٌ خافضٌ لهمُ منهُ جناحينِ من حلمٍ ومن كرمِ

116. حتى لقد خِيلَ كلُّ المؤمنينَ لهُ منْ فرطِ رحمتِهِ فيهم ذَوي رحمِ

117. كم لي بخيرِ الورى مهما استجرتُ بهِ مَنْجاً من الأنكَدينِ: الذّلِّ والعدمِ

118. وما ركنتُ إليهِ يوم مفزعةٍ إلا أمنتُ كأمنِ الصيدِ في الحرمِ

119. ما ضَامني زمني يوماً ولُذْتُ بهِ إلا انثنى زَمِناً عني ولم أُضَمِ

120. وكلَّما احدَودقتْ بي بالظُّبى إزَمٌ هززتُ من نصرهِ نَصْلاً على الإزَمِ

121. وما مددنا إلى جَدواه أيدينَا إلا وجدناهُ أندى الرَّاح من دِيَمِ

122. يُبَشِّرُ المجتدي بالسَّيبِ مَبْسِمُهُ كالبَرق يسبقُ صوبَ العارضِ العرِمِ

123. إنْ يبتسم أَوْ يَفُهْ أبدى لآليه للعينِ والسَّمعِ.. من ثغرٍ ومن كَلِمِ

124. مَن ذا الذي لم يثق بالنَّجع منه ولم يبلغ إذا أمَّهُ الحاجاتِ من أمَمِ

---

119. زمناً: حال، أراد أن الدهر إذا أرادني بسوء، استجرت بالنبي، فانصرف عني زمني مصاباً بالزمانة، أي العاهة التي لا تبرأ.

120. احدودقت: أحاطت، الظبى: جمع ظبة، وهي حرف السيف والرمح، إزم: جمع أزمة، والمراد: كلما أحاطت بي الأزمات وبلغت حافة الهلكة، هززت نصلاً: كناية عن تملكي لسلاح الدفاع والنصرة على الأزمات.

121. جدواه: عطيته وفائدته.

122. المجتدي: طالب الجدوى والفائدة، السيب: المطر، مَبْسمُه: ثغره، الصوب: المطر، العارض: السحب الكثيفة المعترضة في الأفق، الهزم: الغامر.

124. النجع: المرعى، وهو كناية عن الخصب والري، أمم: قريب.

125. ذو ساحةٍ لم يَزَلْ للداخلينَ بها ما تشتهي وتلذُّ العينُ مِنْ نِعَمِ

* * *

126. أنسى الورَى جُودُهُ اسمَ الأسخياءِ فلا تعنَى بمعنٍ.. ولا تهتمَّ بالهَرِمِ

127. طَلْقٌ محياهُ.. رحبُ الراحِ.. أجودُ من سُحْبٍ تسحُّ بلا ضَجْرٍ ولا سأمِ

128. يَلقى العُفَاةَ بوجهٍ منهُ مُتَّسِمٍ بحُسْنِهِ... وبثَغْرٍ أيِّ مبْتسِمِ

129. يفترُّ عن دُرَرٍ فوهُ..ونكهتُه أشهى من العنبرِ الورديِّ في الشَّمَمِ

130. أعظمْ بهِ وهو فردٌ لا تفارقُه مهابةُ المَلِكِ المحفوفِ بالحَشَمِ

131. يُعطي الوفودَ بما يغنيهِمُ خجلاً وَجودُه بالعطايا مُخجلُ الدِّيَمِ

132. هو الكريمُ الذي لمْ تُبقِ راحَتُه لحاتَمٍ غيرَ محضِ الإسمِ منْ كَرَمِ

133. قد طَالما أغنتِ العَافينَ راحتُه حتى ليغشاهُمُ يَمٌّ من النِّعَمِ

134. حتى غدا رحمةً للعالمينَ على يدَيهِ يأمنُ مَنْ في الأرضِ مِنْ نِقَمِ

* * *

135. حازَ المحاسنَ..حتى إنَّ يوسفَ لو يأتي يواسِمُه في الحسنِ لم يَسِمِ

---

126. معن: هو معن ابن زائدة من أجواد العرب وحلمائها، الهرم: هو هرم بن سنان من أشراف العرب تعهد بديات قتلى عبس وذبيان من ماله، والأعلام لاتعرف في اللغة العربية، وكان حقه أن يقول (ولا ترنو إلى هرم).

128. العفاة: الأضياف وطالبي المعروف.

129. يفتر عن درر فوه: أي فمه ينكشف عن مثل الدر من التبسّم.

131. مخجل الديم: أي أن السحاب المليء بالمطر والجود يخجل حين يرى جود النبي❐.

132. العافين: العفاة وهو الأضياف، يم: بحر.

135. يواسمه: يساميه وينافسه، لم يسم: لم يغلب.

136. بل حُسن يوسفَ جزءٌ من محاسنِ مَنْ كلُّ المحاسنِ فِيهِ غيرُ منقسمِ

* * *

138. ياسيِّداً سبَّحت في راحتيه حصىً تسبيحَ ذيْ النونِ يدعو الله في الظُّلَمِ

139. وواحداً مالهُ ثانٍ يشاركه في شَدِة البطْشِ أو في صفْوة الشِّيَمِ

140. صعبُ العرائكِ للأعداءِ قد مُزِجَتْ بقوَّةِ البَأسِ منهُ رقّةُ الرَّحِمِ

141. عمّ الورى عدلُه حتَّى يعودَ لهم منهُ أمانٌ أوَوْا منه إلى حرَمِ

142. وفي القيامةِ قد عمَّت شفاعتُه إليهِ يلجأُ فيها كلُّ مجْتَرِمِ

143. حتى لقد رفرَفَتْ راياتُ رأفَتِهِ فيها على كلِّ مَنْ في الحَشْرِ من أُمَمِ

144. والرسلُ يشغِلُهم عن همِّ أمتِهم همُّ النفوسِ وهَوْلُ الحَادِثِ العَمِمِ

145. حتى لقد دُهِشوا فيها لشدَّةِ مَا قد عاينوهُ منَ الأهوالِ والنِّقَمِ

146. فَثَمَّ يمدحُه كلُّ الأنامِ..كما يُعطى هناكَ لواءَ الحمدِ والكَرَمِ

* * *

* * *

136. زليخا: اسم امرأة العزيز، الدجم: غمرات العشق.

139. صفوة الشيم: مكارم الأخلاق العالية.

140. صعب العرائك، شديد الشكيمة: جبّار.

144. الحادث العمم: المصيبة العامة أراد بها أهوال الحساب يوم القيامة.

147. بالغْ بمدحِكَ واستغْرِقْ.. وغالِ.. كما قد شئتَه غيرَ مهتَّمٍ ومُتَّهَمِ
148. فإنَّ فضلَ رسولِ الله ليسَ لهُ مدىً لديهِ انتهى ذو القولِ والقَلمِ
149. فغايةُ القولِ فيهِ أنَّهُ بشرٌ لم يشهدوا مثلَهُ في الخَلْقِ والشِّيَمِ
150. وأنَّهُ صفوةُ الكَونينِ نورُهما... في حدِّهِ حارَ ذِهْنِ الحاذِقِ الفَهِمِ
151. لهُ فَضَائلُ لا تحصى.. ورُتبَتُه تسمو إلى منتهى الأوهامِ والهِمَمِ
152. حتى توحَّد فَرْداً في جلالَتِهِ من بينَ قومٍ قديمي المجدِ والكَرَمِ

* * *

153. قومٌ لهم في قريشٍ بيتُ مكرمةٍ أقامَهُ اللهُ مِن عزٍّ على دُعُمِ
154. قومٌ تقادَمَ مِنْ منذُ الفِطَحْل لهم عِزٌّ يكادُ يباهي الدَّهْرَ بالقِدَمِ
155. أقسمتُ باللهِ أنَّ اللهَ فضَّلَهمْ على الورى وكفى اسمُ اللهِ في القَسَمِ
156. إذا تشارَكَتِ الأعرابُ في نَسَبٍ فالهاشميّونَ منهمْ صفوةُ الأُمَمِ
157. تدريْ قريشُ غداةَ الفخرِ أنهمُ في منتهى قُنَنٍ منهم وفي قِمَمِ
158. قومُ النبيِّ الذي لولا جَلالتُهُ ما أُخرَجَتْ ممكناتُ الكونِ من عَدَمِ
159. يفنى الزمانُ ويفنى الواصفونَ لَهُ وفيه ما لمْ يُبَنْ وصفاً ولمْ يُرَمِ

---

153. الدعم: جمع دعامة وهي الأساس المتين.
154. الفطحل: الدهر السابق لخلق الناس، وحقه أن يقول: (من فجر الفطحل) أو (من عهد الفطحل).
157. قنن: ذرى وقمم.
159. لم يرم: لم يقصد بالمديح.

160. تبقى العوالمُ حَيْرَى حين تمدَحُه خُرْساً برُتبتِهِ القَعْساءِ لم تَحُمِ
161. فكم تَفَنَّنَ فيهِ المادحونَ ولم يوفُوا ولو بعضَ ما فيهِ من الكَرَمِ
162. بل مفرِطوهم إذا أطرَوْهُ كم تَرَكُوا بدائعاً من عَوالٍ فيهِ من شِيَمِ
163. من بَعْدِما استقرؤوا الدنيا ولم يجدوا بين اللُّغى ما يُؤَدِّيها منَ الكَلِمِ
164. تلكَ المعاني التي جلتْ دقائِقُها عن أن يعبِّرَ عنها ناطقٌ بِفَمِ
165. بل رُبَّ معنى بديعٍ لا يقابِلُهُ لفظٌ لدقَّتِهِ باقٍ كمُنْعَدِمِ

166. مِنْ كلِّ أوضحِ من صبحٍ لمبصرِهِ وهلْ مَعَ الصُّبحِ والإبصارِ منْ تُهَمِ
167. يصحُّ في نَظَرِ الأذهانِ صورتُهُ كما يصحُّ ضياءُ الزُّهرِ في الظُّلَمِ
168. لكنه لقصور اللفظِ عنه غَدا مَعَ الوجودِ مُحالَ الذكرِ كالعَدَمِ

* * *

169. جاءتْ مصرِّحةً من قَبْل مَبْعَثِهِ بفضلِهِ الرُّسُلُ الأُولى إلى الأمَمِ
170. مازالَ منتظراً للكلِّ يرقُبُهُ قبلَ الوجود قبيلا العُرْبِ والعَجَمِ
171. كم ظلَّ مثلَ هلالِ العيدِ ترصُدُهُ للعالمينَ عيونٌ عنْهُ لمْ تَنَمِ
172. يرجونَ مِنْهُ إذا ما جاءَهُم فرَجَاً كما رجَا البرءَ بالأدواءِ ذُو سَقَمِ
173. حتَّى يقولَ لفرطِ الشَّوق قائِلُها أيَّانَ يُبْعَثُ ذو الأحكام والحِكمِ

---

160. القعساء: الراسخة الثابتة، لم تحم: لم تطوف حول جميعها.
162. مفرطوهم: المبالغون في المديح منهم، إذا أطروه: إذا مدحوه.
163. اللغى: جمع لغة.
165. باق كمنعدم: أي باق في الحقيقة وإن كان منعدماً في الذكر والرواية.
167. الزهر: الأنجم الزهر المشرقة.
170. قبيلاً: مثنى قبيل، وهو القبيلة العظيمة.

174. لكن إذا جاءهُمْ بالحقِّ قابَلَهُ ذو الحُمْقِ والشّقوةِ الممقوتُ بالنِّقَمِ
176. ضلُّوا فَلَم يهتدوا من جهلهم وهُمُ لم يعرَفوا الفَرْقَ بينَ النورِ والظُّلمِ
177. بل همْ أضلُّ مِنَ الأنعامِ حيثُ عَمُوا عنْ الصَّباحِ وباعوا الصدقَ بالصَّنمِ
178. هَمُّوا إذا ما أبوا إلا الشقاء لهم أن يَسْتُروا نورَ تلكَ الشمسِ باللُّثَمِ
179. فاستعملَ الكُلُّ مافي الوسعِ صارفةً في ردّه كلَّ ما فيهمْ مِنَ الهِمَمِ
180. لم يتركِ الشركُ لا حَوْلاً ولا حِيَلاً كي يكتموا نورَ صبحٍ غيرِ مُنْكَتِمِ
181. طوراً بحربٍ وطوراً بالجدال..وقد صاغوا أباطِلَهم من زُخْرِفِ الكَلِمِ
182. كضوءِ هَيْكلِ جَوزٍ.. أنت تبصرُهُ في البعدِ..لكنْ متى تقرَبْهُ يَنْعَدِمِ
183. أو آلِ قيعَةَ والظمآنُ يَحْسَبُهُ ماءً.. ومهما يرِدْهُ عادَ وهو ظَمِي

* * *
* * *

178. اللّثم: جمع لثام وهو الغطاء على الوجه.

182. هيكل جوز: الجوز: الماء الذي يجوز عليه المسافرون، ويبدو أنها محطات كانت توضع فيها جرار الماء للسقيا، وتنصب عليها الهياكل ليراها المسافرون، ويوضع فيها سراج، ومراده أنها كمحطة السقيا المضيئة ولكن لا ماء فيها.

183. آل قيعة: سراب القيعة، والقيعة هي المنبسط العظيم من الأرض لا ارتفاع فيه ولا انخفاض، تنظر إليه فتحسب به ماءً وما به ماء.

الفصل السابع

184. بشرى لنا أمَّةَ الأمِّي إنَّ لنا — من السعادة سُوراً غيرَ مُنْثَلِمِ

185. فنحنُ بين البَرايا أمَّةٌ وسطٌ — مرحومةٌ.. شهداءُ الله في الأمَمِ

186. سيبعثون غداً غراً محجّلَةً — إذا غَدتْ أوجُهُ الأغيَارِ كالحِمَمِ

187. لَمَّا اختُصِصْنَا بخير الرسلِ خُصَّ بنا — مَجْدٌ وفضلٌ وعِزٌّ غيرُ مُنْخَرِمِ

188. فاقَ النَّبيِّين والأمْلاك رتبَتُهُ — ولم تعادلْهُ في أخلاقِهِ العُظَمِ

189. لم تَرْق منهم أولو العزم الذينَ عَلوا — رُقِيَّهُ في علوِّ القَدْرِ والقِيَمِ

190. وما أَرَوْا قومَهم منْ كلِّ معجزةٍ — عظمى فلمْ تَقْرَبِ القرآنَ في العِظَمِ

191. بل معجزاتُ جميعِ الرّسلِ دارِسَةٌ — منسيَّةٌ بانقراضِ الرُّسلِ والأُممِ

192. فحبَّذا آيةُ القرآن دائمةً — وما سِواها من الآياتِ لمْ تدُمِ

193. فيها مواعظُ مازالتْ رقائقُها — صَقَّالةً صَدَأ الأذهانِ من تُهَمِ

184. سوراً: حائطاً، وقاءً، غير منثلمٍ: غير منكسر.

186. غر محجلة: يقال للفرس غرٌّ إذا ابيضت غرتها: ويقال لها محجلة إذا ابيضت قوائمها، وفي الحديث إن أمتي يدعون يوم القيامة غراً محجّلين من أثر الوضوء، لأن موضع الوضوء من المؤمن يشرق بالنور يوم القيامة، الحمم: الفحم الأسود.

187. غير منخرم: غير منقطع.

191. دارسة: ذاهبة ومنتهية.

193. صقالة: من الصقل وهو المسح والصقل.

194. تبقى على الدهرِ بينَ الخَلْقِ حجَّتُهُ بيضاءَ تُدْحِضُ عفواً حُجَّةَ الخَصِمِ

195. تلغيْ زخارفَ منْ يأتي يعارضُها كأنَّها الصبحُ يلغي غيهبَ الظُّلَمِ

196. ما آيةٌ منه إلا وهي معجزةٌ تمحو وساوسَ ذي شحناءَ مُتَّهَمِ

197. بكل معنى بديعِ اللّفظ علَّمَهُمْ ما سوفَ يأتي وما قدْ مَرَّ في الأمَمِ

198. فيها لَمنْ يفهمُ الأسرار فهرسَةٌ قد أوجزَتْ كلَّ علم اللوحِ والقلمِ

199. تُعيِي الورى وهي أقوالٌ مؤلَّفَةٌ من جنسِ ما عَلِمُوا من سائرِ الكَلِمِ

200. حتى ترى كلَّ من يأتي يعارِضُها مابين منخزلٍ منهم ومُنْفَحمِ

201. بكلِّ منسَجمٍ حلوِ المذاق.. وإن يذقْه منْ يجهلُ المعنى من العَجَمِ

* * *

202. مارَدَّ دعوى العدى عنها بلاغتُها إلا وقد أكلوا الأيدي من النَّدمِ

203. حتى يخالوا وقد أدموا أنامِلَهُمْ معضوضَةً.. آكلي العُنَّابِ والعنمِ

204. جاؤوا وأوجهُهُمْ كالزهرِ فانقلبوا وهنّ أحلَكُ ألواناً من الحِمَمِ

205. وغودرتْ كالأثَافي السُّفع قائمةً قَد استعارَتْ سوادَ القارِ والقَتَمِ

---

194. عفواً: بلا تكلف.

196. وساوس ذي شحناء متهم: الشبهات التي يلقيها أهل الشحناء والبغضاء اتّهاماً للنبوة.

198. فهرسة: تصنيف.

200. منخزل: من الإنخزال. وهو مشية القهقري فيها تثاقل واعوجاج.
منفحم من الانفحام، وهو السكوت أمام الحجة القاطعة.

203. العناب: نوع من الثمر أحمر. والعنم: ضرب من الشجر يفرز صباغاً أحمر كأنه الخضاب.

205. الأثافي جمع أثفية: وهي الحجارة التي توضع عليها القدر، فتوقد عليها النار فتسود.
والسفع: السوداء، القار: الزفت. القتم: السواد، يقال: ليل قاتم.

206. تلكَ الوجوهُ التي شاهَتْ فيرهقُها لونانِ جُونانِ من عجزٍ ومِنْ نَدَمِ

207. وَأَحْرِ بالعجزِ حزبٌ لا نصير لهم إذا تصدوا لدعواهم سوى صَنَمِ

208. جاءَت بأبدَعِ أسلوبٍ مركّبة من كلِّ حرفٍ حوى بحراً من الحِكَمِ

209. مؤزَّلاتٍ.. بذاتِ اللهِ قائمةً كغيرها من صفات اللهِ في القِدمِ

210. يكادُ يُغْرقُ دونَ الموجِ قطرتُها من أشقياءِ الأعادي كلَّ مقتحِمِ

211. ويلزمُ الخصم فحواها على حدةٍ بلا احتياجٍ إلى قاضٍ ولا حَكَمِ

212. عقَّدْنَ من لُسُنِ الأعرابِ ألسُنَها خُرْسَاً من العَجْزِ.. لا خُرْسَاً من البَكَمِ

213. ما كدتُ أحسَبُ حتى ذقتُ لذَّتَها أنْ يودِعَ اللهُ معنى الشَّهدِ في الكَلِمِ

214. أطيبْ بها كَلَّما كرّرْتَها.. ومتى كرَّرْتَ شيئاً سِواها ساءَ مِنْ سَأَمِ

215. مهما أَذُقْها تزدني مِنْ حلاوتها وتحبُني من جديد الحُكْمِ والحِكَمِ

* * *

* * *

---

206. جونان: مثنى جون وهو اللون الأسود.

207. أحر بالعجز: أحق بالعجز.

209. مؤزلات: أزلية.

212. عقَّدن: ربطن وأوثقن. لُسُن الأعراب: فصحائها.

213. الشهد: العسل.

214. السأم: الملالة.

215. تحبني: تعطيني وتمنحني.

الفصل الثامن

216. وظلَّةُ الغيمِ سارت تظِلّلُه ... من قيحِ ضِحْيٍ كلفحِ النارِ في الضَّرِمِ

217. وانشَقَّ معجزة عظمى له قَمَرٌ ... إذ قامَ يدحَضُ دعوى المنكرِ الخصِمِ

218. وما رأتْهُ العِدى والعينُ ناظِرةٌ ... في الغارِ وهو أمامَ العينِ كالعَلَمِ

219. وكلَّمَا أحْدَقوا في الغارِ نَظْرَهُمُ ... عادوا يقولونَ ما في الغارِ من أرِمِ

220. وردّهم عنهُ نسجُ العنكبوتِ.. ولا ... ثغرٌ سواهُ وإلا السجعُ لليَمَمِ

221. إذا وقى اللهُ عبداً بالعناية لَمْ ... يحتجْ إلى الحصنِ والأدراعِ في العِصَمِ

222. وكم شَفَتْ سُقُماً بالمسح راحتُه ... فلم يروا بعده للدّاء من ألمِ

223. أطاعهُ الغيمُ حتّى إنَّ دعوتَه ... أحيا بها الأرضَ مُحيى الأعظُمِ الرَّمَمِ

---

216. ظلة الغيم: السحاب المظلل، فيح ضحيً: حر الشمس، وضحا إذا برز للشمس.

217. الخصم: الشديد في مجادلته.

218. العلم: العلامة الظاهرة، ويسمى الجبل الشامخ: العَلَم.

219. أرم: الإرم: الأثر. ولم أقف على معنى (أرم) كما ضبطها الناسخ. ولعلها لغتان.

220. ولا ثغر سواه: أراد لامدخل للغار إلا من حيث نسج العنكبوت. السجع: صوت الحمام. اليمم: جمع يمامة وهي نوع من الحمام البري غالبه أبيض.

223. الرمم: جمع رمة. وهو العظم التالف الهش. ومحيي الأعظم الرمم هو الله سبحانه والمراد أن الله عز وجل أحيا بدعوته الأعظم الرمم.

224. كأنَّما الرَّوضُ مَحْياةٌ بدعوتِهِ ... موشيّةٌ منهُ بالأزهارِ من شِيَمِ

225. جاءت لدعوتِهِ الأشجارُ ناكِسةً ... رؤوسَها عادةَ المطواعِ من خَدَمِ

226. أجَبْنَهُ وهو يدعوها لحاجتِهِ ... مشياً على رأسِها فضلاً عن القَدَمِ

227. وأشبعَ الجيشَ بالتمرِ القليلِ وقدْ ... أتوهُ يشكونَ فرطَ الجوعِ والنَّهَمِ

228. وعادَ من عندهِ من جاءَ مشتكياً ... من جُوعِه وهو أشكى منهُ بالتَّخَمِ

229. والكِتْفُ كلَّمَهُ بالسُّمِّ يخْبرهُ ... فيا لَهُ من كلامٍ لمْ يكُن بِفَمِ

* * *

230. طوى مسافةَ شهرٍ ساعتين إذا سَرَى إلى الحرَمِ الأقصى من الحرمِ

231. على البُراقِ الذي مازال تركبُه من قبله الرسلُ في الحاجات من قدَمِ

232. قد جَاءَ مِنْ جنَّة الفردوسِ يصْحَبُه جِبريلُ في جُنَّتيِّ السَّرج واللّجُمِ

233. لَهُ خطىً تخطفُ الأبصارَ سُرعتُها كأنّهُنَّ رُجومُ الشُهب في الظُّلَمِ

234. يطوي به كلّ خطوٍ منه مرحلةً كما استعارَتْ جَنَاحَي طائرٍ جَذِمِ

---

224. موشية: مزينة.

الشيم: جمع شامة، وهي مايظهر في الخد، والعرب تعدها من آيات الجمال. والمراد أن الزهر في الروض أصبح كالشامات في خدود الحسناوات.

228. أشكى أكثر شكاية. التُّخَم: كثرة الطعام.

232. جنتي: مثنى الجنة، وهي الوقاء. وكل ما وقاك فهو جنة.

234. مرحلة: المرحلة وحدة قياسية تعادل 40 كيلو متراً تقريباً، والعدد هنا غير مراد. والمقصود أنه عظيم الخطى شديد السرعة.

جذم: سريع القطع، ومنه الجذام لسرعة العدوى فيه.

235. يا لابساً بُرْدَتيْ عزْ ومَكْرُمَةٍ زانَتْهما نفسُهُ بالوشي من شِيَمِ

236. مازلت تعلو به في المرتقَى رُتباً حتى توقَّلْتَ أسنى مُنتهى الشّممِ

237. وجزتَ تخترقُ السَّبْعَ الشدَادَ إلى أنْ فُزْتَ بالممكنِ الأقصى من الأممِ

238. تُزجُّ في حُجُبِ الأنوارِ تَخرقُها إلى حمى القُدْسِ فَرْداً غير مُزْدحمِ

239. ترقى من ا لقربِ فوق الخلقِ منزلةٍ قدسيَّةً.. لم يطأها الغيرُ بالقدمِ

240. في موطنٍ غبطتكَ المرسَلونَ به وأنتْ بالمنظر الأعلى من العِظَمِ

241. بقابِ قوسين أو أدنى دنوتَ إلى مولىً سقَتْكَ يداهُ البحْرَ من حِكَمِ

242. حتى علمتَ علوماً غيرَ دَاخلةٍ في حَيطةِ اللفظِ أو في حَوْزَةِ القَلَمِ

243. خزائناً من علوم الله أودَعَها في طيَّ قلبكَ سِراً أيَّ مُنْكتِمِ

244. وقد غدَوتَ إمامَ المرسلين كَما كانوا أئِمَةَ أجيالٍ من الأُمَمِ

245. وقدَّمُوكَ كما قد تستحقُ لَه إذا تَقَدَّمْتَهُمْ في الفضلِ والكرم

---

235. الوشي: النقش، الشيم: الخصال الحميدة.

236. توقلت: من وقل أي صعد في الجبل. الشمم: القمم العالية البديعة، وشمم الإنسان أنفه، وهو رمز كرامته وعزته، الأمم: القرب.

241. بقاب قوسين: يراد شدة القرب، وأصل التركيب قابا قوس فاستبدل بقاب قوسين، وذلك أن لكل قوس قابان إن أمسكته يوشك أن يتصل قاباه من شدة القرب.

242. حيطة اللفظ: ما أحاط به اللفظ. حوزة الكلم: ما حازه الكلم بالبيان.

246. وزِنْتَ في الملأ الأعلى ملائكةً استقبلتْ منكَ ضيفاً أيَّ مُحْتَرِمِ

247. وقبَّلَتْ نعلكَ الأفلاكُ إذ فطِنتْ لمَنْ علاها بيُمن النَّعلِ والقَدمِ

* * *

* * *

---

246. زِنْت: زيَّنْت.

247. الأفلاك: النجوم.

الفصل التاسع

248. ياقائدَ الخيلِ خيلِ اللهِ يُقْدِمُها ... إلى الوغى غيرَ هيَّابٍ ولا بَرِمِ
249. يقودُ في كلّ حرْبٍ جحفلاً لجَباً ... عَرَمْرِماً مُغرِقاً كالسَّيلِ من عَرِمِ
250. أُسْداً هوادِرَ.. إنْ يخفِقْ لَهُم عَلَمٌ ... أعدَتْ قلوبَ عِداها الخَفْقَ مِنْ عَلَمِ
251. دامتْ عليها من الماذيِّ أقمصةٌ ... من نسجِ داوودَ.. لَمْ تُصْبغْ بغيرِ دَمِ
252. قد اطمأنَّوا إليهِ يومَ رُعْبِهِمُ ... كأنَّما اعتمدوا منهُ على عَلَمِ
253. عبيَّتهم.. كلَّما اصطَفُّوا لِمَلْحَمَةٍ ... حتى اغتدَوا كجدارٍ رُصَّ منْتظِمِ
254. تُقيمُهُم دونَ يأجُوجِ الخصامِ إذا ... جاؤوا يموجون سدَّاً غيرَ مُنْثلِمِ

---

248. برم: من التبرم وهو الضجر والسآمة.
249. الجحفل: الجيش العظيم الذي تقدمه الخيل، لجباً: مضطرباً صاخباً، وغلب إطلاقها هنا على الجيش العظيم الصاخب بأقدام الجند. العرمرم: الكثير الهائل. العرم: المطر الغزير المغرق.
250. هوادر: في الأصل: خوادر. ولم أقف على معناها، وأغلب الظن أنها هوادر من الهدير، وهو الصوت القوي المزلزل. وأسْد جمع أسد، والعلم: السيف المشقوق في أعلاه، والمراد: أنهم إن تخفق راياتهم وأعلامهم يعدي ذلك الخفق من راياتهم قلوب أعدائهم، فتخفق قلوب أعدائهم رعباً من سيوفهم المعلمة.
251. الماذيّ: سلاح كله من الحديد يتترس به المقاتلون لدرء السيوف والسهام عنهم.
252. عَلَمٌ: هنا بمعنى جبل، وقد وردت قبل بيتين بمعنيين اثنين آخرين وهما: الراية. السيف المشقوق.
254. يأجوج الخصام: أراد به الخصوم الكثيرة أعدادهم كأنهم يأجوج ومأجوج. غير منثلم غير منخرق.

255. سدَّاً يَرُدُّ جيوشَ الكفرِ صاغِرَةً ردَّ الذي يستبيل الأسْدُ في الأجمِ

256. تسُومُ سوءَ الرَّدى من سوَّلت لهمُ نفوسُهم أن تلينَ الأُسدُ للخدَمِ

257. ويلٌ لهم حُمُرٌ صالَتْ على أَسَدٍ غَشَمْشمٍ مُسْئِمٍ للخصمِ لا سئِمِ

258. والخيلُ تمرحُ بالأصحابِ توقِفُها بالقهرِ عن كرِّها مَثْنيّةُ اللُّجُمِ

259. خيلٌ عِرَابٌ على أثباجِها غُرُبٌ تربّعوا بالذرى الغربيِّ من عَلَمِ

260. تَغْلي من الغيظِ إذ عَضُّوا أعنَّتها فكلما صُبِّرَتْ أصمَتْ على الشُّكُمِ

---

255. الأجم: بيت الأسد، وفي الأصل الآجام: القصور. ولا يقال لشيء من بيوت الحيوان أجم إلا للأسد ويستبيل: السبلة هي الشعر في مقدمة اللحية، ولعل مراده أن من يمسك الأسود من سبالتها عابثاً في الأجم يعود مقطوع اليدين.

256. تسوم: ترعى، والمراد هنا: تبتغي.

257. حمر: جمع حمار، صالت: اعتدت، غشمشم: جريء جبار، مسئم للخصم: يصيب خصمه بالسآمة ولا يسأم، والسآمة: الكآبة والحزن والضجر.

258. مثنية اللجم: اللجام المثنى أي الذي عقد حبله مرتين، فكان أحفظ وأوثق، والمراد بالبيت أن خيول الأصحاب مقدمة كرارة، لا يوقفها عن كرها إلا اللجم المثنية تقهرهم، ولولا اللجم لأقدمت في جيوش العدو لا يرهبها منهم شيء، ولا شك أن مدح الفرس مدح للفارس.

259. أثباجها: جمع ثِبج وهو الظهر، وخيل عراب: خيل عربية صافية ليس فيها عرق هجين، والذرى الغربي: أي القمم الغارية أي العالية النازحة عن الناس، الممتنعة على القاصدين ، وعلم هنا بمعنى الجبل الشاهق.

260. غضوا أعنتها: أي شدوا لها الأعنة ليكفوا من حدتها. أصمت: وصمت الشيء إذا شددته بسرعة فانصدع، وأصمى الفرس على لجامه إذا عض عليه ومضى. والشكم جمع شكيمة وهي الحديدة المعترضة في فم الفرس أراد أن خيولهم لا تكف عن شوق القتال فإن شدوا أعنتها راحت تعض على الشكم من الغيظ.

261. من كلِّ أشهبَ يعدو في غُبَارِهِمُ كما تَصَوَّبَ نجمُ الرَّجْمِ في الظُّلَمِ

262. وكلِّ أغبش يغشاهُم فتحسَبُهُ جلمودَ صَخْرٍ تردَّى من ذُرَى عَلَمِ

263. وأدهمٍ مَثلَ جُنْحِ الليلِ متَّخذٍ له جناحينِ من أرياحهِ العُقُمِ

264. خفَّت على ظهرها الفرسانُ إذ لُهِدتْ تحتَ العدى الخيلُ بالأحمال والحُزُمِ

265. ترى العواصفَ إذ تعدو لتلحَقُها وراءَها.. وهي تمشي مشيةَ الحُذُمِ

266. يَجُلْنَ في جنباتِ القاعِ عابِسَةً ينظرنَ عن جمراتِ الأعيُنِ الجُحُمِ

267. تُغيرُ فوقَ مَطَاها الأُسْدُ تَجْعلُ ما أتتْ عليه من الأعداءِ كالرَّمم

268. آسادُ غيلٍ هواهمُ في الجهادِ.. فلا يلهيْهمُ عنه همُّ العيش والنِّعمِ

269. مخلوقةٌ فطرةً للبطْش إنْ نَقِمَتْ في الحربِ تلتقمُ الأعداءَ كاللُّقمِ

---

261. أشهب: أراد فرساً أشهب وهو الفرس البيضاء يشوبها سواد في خلالها.

262. أغبش: أراد فرساً أغبش، والغبش: سواد آخر الليل. جلمود صخر: الصخر الأصم.

263. أدهم: أراد فرساً أدهم، والدهم السواد، والعقم: جمع عقيم، أراد بها الريح العقيم المتلفة.

264. لهدت: من اللهيد وهو أن تحمل الخيل حملاً ثقيلاً فينشدخ ظهرها، أراد أن أعداءهم يركبون دواباً لاهدة من كثرة ما يحملون عليها من جرحاهم وقتلاهم وأمتعتهم حال الفرار.

265. مشية الحذم: هي مشية المسرع المتعثر، وهي في الأصل مشية الأرانب السراع.

266. يجلن: من الجولة وهي تجول المالك في ملكه، والرئيس في جنده، جمرات: جمع جمرة، الجحم: الشاخصة، وهي في الأصل آفة تصيب عين البعير فيكوى مابين عينيه، فيصبح دائم الشخوص.

267. فوق مطاها: فوق ظهورها، الرمم: العظام البالية.

268. آساد غيل: من الغيلة وهي الهلكة والموت، والمراد أنهم أسود خلقوا لغيلة الأعادي.

269. اللقم: جمع لقمة.

270. شمُّ العرانين.. من أُسْدِ العرين ومَنْ سَقَوا قفارَ العِدى إذ أُقْحطُوا بدمِ

271. وأرْسَلوا رُسُل الأرْمَاح باحثةً بين الحشا عن محلَّ الضَّغْنِ والأضَمِ

272. تخشى العفاريتُ في الغارات صولتهم وتتّقي بَطشَها الآسادُ في الأُجُمِ

273. منصورةٌ بالصَّبا يمشي أمامَهُمُ إلى قلوبِ العِدى رُعْبٌ بلا قَدمِ

274. والحربُ كاشرةٌ عن بِيْضهمُ فحكَتْ للنّاظرينَ اهتزاز البرقِ في الظُّلَمِ

275. بمأزقٍ قاتمِ الأعماقِ ذي رَهَجٍ غطَّتْ وجوهَ بنيهِ قتْرَةُ القُتُمِ

276. منْ كُلِّ مُسْعر حرْب في ملاحمِهِ إلى لحومِ عِدَى خير الوَرى لَحِمِ

277. يلقى العدوّ يعيني ضيغَمٍ ضرمٍ مُدَجَّجٍ باللَّم المعْبوطِ مُلتثمِ

---

270. العرنين: الأنف، والمقصود أنهم شامخو الأنوف، وأول من استعمل هذا التركيب كعب بن زهير. قفار: جمع قفر، وهي الأرض التي لا نبات فيها ولا ماء.

271. الضغن: الحقد، الأضم: الغضب.

272. الأجم: بيوت الأسد، وقد مرت.

273. الصبا: ريح طيبة تهب من المشرق، وكان النبي ﷺ يقول: نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور.

274. كاشرة: كشر الليث إذا بدت أنيابه. والبيض: السيوف. ومراده أن السيوف الصارمة بمثابة أنياب للحرب.

275. قاتم الأعماق: أسود مرعب. المأزق: المضيق، ذي رهج: ذي غبار. القترة: غبرة يعلوها سواد كالدخان، وأصل القتار ما يعلق بالقدر من سواد إذا وضع على النار، والقتم جمع قتام وهو الغبار الحالك فيه رائحة كريهة.

276. مسعر حرب: مُشعل حرب. لحم: مُشتهي اللحم.

277. ضيغم: اسم من أسماء الأسد. ضرم: جائع. المدجج: هو المغطّى بسلاح تام. الدم المعبوط: الدم المسفوك ظلماً لا عن قصاص.

278. أخي الغياهِب.. خِرّيتِ السَّباسبِ لا يحتاجُ فيها إلى نجمٍ ولا وَجَمِ

279. يغضي حياءً.. وفي جلبابه جَبَلٌ يَهُدُّ في الحربِ ركني كلِّ مصطَدِمِ

280. كأنَّهم إذ غَزَوا فيهم أسودُ شَرَى أقامت الغارةَ الشَّعواءَ في الغَنَمِ

281. أُسْدٌ جياعٌ ولكنْ ليسَ يشبعُهَا إلا لحومُ العدَى مأدومةً بِدَمِ

282. الناشطونَ إلى الهيجاء تُرْقِصُهُمْ قعاقعُ البيضُ لا القيناتُ بالنَّغَمِ

283. والناظمونَ عِداهُمْ كلَّ ما طَعَنوا في السُّمر نظْم الطُهاةِاللَّحْمَ في الوَضَم

284. يشوونَهم في جحيمِ الحَربِ توطِئةً لِشَيٍّ آخر أقوى منهُ في الجُحُمِ

285. تلقى العدى في الوغى منهم زبانيةٌ تعذِّبُ الخصمَ بالخَطِّيِّ والخَذِمِ

---

278. أخي الغياهب: أراد أنه يألف الغياهب حتى كأنه واخاها. الغيهب الظلام الشديد، أراد به ظلام نقع المعركة. خرِّيت: هو الماهر الحاذق. السباسب: جمع سبسب وهي المفازة من الأرض القفر البعيدة التي لايهتدي فيها أحد، الوجم: حجارة مركومة توضع علامات يهتدى بها في الصحارى.

279. يغضي حياء: أراد أنه يتغافل عن إساءة المسيء ويعفو ويغفر.

280. الشّرى: موضع تنسب إليه الأسود الضارية، قيل هو صوب الفرات به غياض وآجام ومأسدة. الغارة الشعواء: الغارة: الهجوم السريع على حين غرة، والشعواء الفاشية المنتشرة.

281. مأدومة: من الإدام وهو الطعام وأراد هنا مطبوخة.

282. قعاقع: جمع قعقعة وهي الطرق الشديد. والبيض: اسم لنوع من السيوف الماضية. القينات: جمع قينة وهي المغنية.

283. الوضم: خشب الجزار التي يوضع عليها اللحم.

284. يشوونهم: من الشي وهو الطهي. توطئة: تمهيداً.

285. الخطي: نوع من الرماح المنسوبة إلى مرفأ بالبحرين يقال له: الخط، الخذم: القطع.

286. إذا أرَوهم عذابَ الحربِ ذكَّرَهُم عذابَ ذي العرشِ في عادٍ وفي إرَمِ
287. أو عسكراً بحصى السجِّيل حارَبَهمْ طيرٌ أبابيلُ تحْمي البيتَ في الحرمِ
288. أو الشياطينَ تفنى وهي مُحْرَقَةٌ إذْ حاولت عِلْمَ غيبِ اللوح بالرُّجُمِ
289. وَكَمْ لهم غارةٌ شَعْواءُ تتركُ في زجاجَةِ الشِّرْكِ شِعباً غير مُلْتئِمِ
290. وبلدةٍ بظُبَى الأسيافِ تخْرِبُها والسَّيفُ أعظمُ تخريباً من الوخَمِ
291. ووقعةٍ قَسَموا فيها أعاديَهم إلى أسير ومقتولٍ ومنهَزِمِ
292. والخيلُ تعثُرُ بالخَطِّيِّ منكسراً بساحةٍ وَحِلَتْ من أَدْمُعٍ ودَمِ
293. وطبَّقتْ أرضَها الأشلاءُ إذ قَسَموا قتلى العِدى قسمةً ضيزى إلى زِيَمِ
294. أجْوِدْ بهِمْ بقِرى الجيعانِ تُشبعُ مِنْ لحمِ الخِصَامِ خماصَ الوحش والرخمِ

---

286. عاد وإرم: عاد: قوم نبي الله هود، كفروا فأهلكهم الله بالريح الصرصر، وإرم: مدينتهم التي عمروها يضاهئون بها الجنة.
287. أو: عطف على ذكَّرهم: السجيل: النار الملتهبة. أبابيل: جماعات.
288. الرُّجُمُ: الشهب التي أرسلها الله ترجم الشياطين لما حاولوا قراءة ما في اللوح المحفوظ من الغيب.
289. غارة شعواء: مرت في 280. شعباً: الشعب هو الكسر. غير ملتئم: غير ملتحم.
290. ظبى الأسياف: حد السيوف. الوخم: نوع من الوباء، والمراد: الأمراض المهلكة.
291. ووقعةٍ: أي ربَّ وقعةٍ.
292. الخطّي: نوع من الرماح مرت الإشارة إليه في 284، وَحِلَت: امتلأت بالوحل.
293. طبقت: ملأت: الأشلاء: الأحشاء، قسمة ضيزى: قسمة جائرة، زيم: قطع متفاوتة متفرقة.
294. أجود بهم: أعظم بجودهم، قرى الجيعان: ضيافة الجائعين، لحم الخصام: لحوم الأعادي. خماص الوحش: الجوعى من الوحوش، الرخم: جمع رخمة وهي طائر على شكل النسر.

295. كمْ هامةٍ دُحْرِجَتْ منهم وكم بَدَنٍ تحْتَ السَّنابكِ والأخْفَافِ مُنْحَطِمِ

296. وجُثَّة فُكّ عنها الروحُ راحِلَةً من ذابلٍ في محلِ الرُّوح مُدَّغمِ

297. وإنما يطؤ الماشيْ بها جُثثاً خرَّت على وجهِها مقطوعة الدُّعُمِ

298. ويستظلُّ بها الضَّاحي بمُعْتَمَدِ إذ شال فوق قنَاهم شرُّ مُدَّعمِ

299. حتى غدا بهمُ الإسلامُ تحرُسُه أُسدٌ من السُّمْرِ والأسياف في أَجَمِ

300. أُسْدٌ براثِنُها سُمْرٌ.. وأَنْيُبُها بيضٌ رَضِينَ عن الأغماد بالقممِ

301. لا تنجلي الحربُ إلا بعدما ظَفَرَتْ فيها.. وأظفارُها مخضوبةٌ بدَمِ

302. خُرْسٌ.. إذا أنطقُوا في كلِّ معْرَكَةٍ صُمَّ القنَا أبرؤوا الكفار من صمَمِ

303. وأسمعُوا بكُلُوم السُّمر أمْرَهُمُ صُمَّ الأعادي بلا صوتٍ ولا كلمِ

---

295. الأخفاف: جمع خف، أراد الأقدام، منخطم: مقتول، والخطم هو الضرب على الأنف.

296. فُك: أزيل. الذابل: الرمح. مدغم: من الدغم وهو كسر الأنف إلى باطنه هشماً.

297. الدعم: جمع دعامة، وهي عماد الشيء. ودعامة الإنسان أضلاعه.

298. الضاحي: من أصابه حر الشمس، شال: ارتفع. قناهم: رؤوسهم، مدعم: المدعم: الخشب المنصوبة للتعريش.

299. السمر: صفة لموصوف محذوف، أراد الأبطال السمر. والعرب تصف المحارب بأنه أسمر تريد أنه دائم الظهور على الخيل حتى اسمرّ وجهه من طول ما لفحته الشمس. وتطلق السُّمر أيضاً ويراد بها الرماح، ولعلها مراده. الأجم: الغابات.

300. براثن الأسد: مخالبه. والقمم: رؤوس الرجال.

302. خرس: أراد أن مقالهم في الحرب بسيوفهم ورماحهم لا بألسنتهم.

303. كلوم: جمع كلم وهي الجرح، أراد جراح الرماح السُّمر.

304. قد كَبكَبوا في الوغى الغاوين فانقلبُوا ما بين منهزِمٍ منهم ومنخطمِ

305. راضوهُمُ بسياط البيض تركبهم مهما أرادوا بلا سرْجٍ ولا لُجُمِ

306. ردّوا جماحَهُمُ بالرُّمْح تطعنُهُم والرمح أشنق للجُمَّاحِ من شُكُمِ

307. حتى أقاموا أَذِلاّءً وقد يئسوا كَما رأوا ذُلَّهُم من نُصْرَةِ الصَّنَمِ

308. بكلِّ قلبٍ لهم قد خاب منكَسِرٍ وكلِّ ظهرٍ بوِقرِ العَارِ منقَصِمِ

309. وأعينٍ قد أطارَ الرُّعبُ غفوتها فلم تنمُهَا ولو في الأشْهُرِ الحُرُمِ

310. لمْ يغْمِضُوا جَفْنَهُم إلا وأيقظَهُم بيضٌ تهدِّدُ.. سلَّتْها يَدُ الحُلُمِ

311. صالتْ أسوداً ولكنْ بعدما انهزموا لو استطاعوا استعاروا أرجلَ الجُذُمِ

312. ضَاقتْ بها الأرضُ حتى إن هاربَها وإن نجا لم يجد بُدَّاً مِنَ السّلمِ

---

304. كبكبه: ألقاه على وجهه. منخطم: من خطمه إذا ضربه على أنفه بالسيف.

305. راضوهم: من الترويض وهوالتوطئة والتذليل، مهما أرادو: كلما أرادوا.

306. الرجل الجموح: الذي يركب هواه فلا يرد عنه، والأصل أن تطلق على الفرس التي لايكبحها اللجام فتغدو بغير أمر فارسها، والشناق: حبل يجذب به رأس البعير والناقة فيلجمه. وشنقه بمعنى لجمه. والشكيمة من اللجام وهي الحديدة المعترضة في الفم.

308. الوقر: الحمل الثقيل.

310. سلَّتها: سحبتها من أغمادها. وبيض: سيوف. والحلم: جمع حليم إشارة إلى ما أثر عن النبيﷺ: اتقوا غضب الحليم.

311. صالت أسوداً: أي بدأت بالمجابهة وهي تزأر كالأسود، استعاروا أرجل الجذم: كناية عن الهرب والجبن. والجذم: الأرانب السراع.

312. السّلم: الاستسلام.

313. يا باغياً من عِداهم مثل مافعلوا هيهاتَ تطلُبُ معنى الأسْدِ في الغَنَمِ

314. أولئكَ الأُسْدُ حِزبي..مَنْ يَصُلْ بهم على الضراغمِ في الآجامِ لَمْ يَجِمِ

315. لم أستَغِثْ بهمُ في كل معركة إلا جعلت بهم ظهري على عَلَمِ

* * *

* * *

---

313. يا باغياً: يا طالباً.

314. من يصل: من الصيال وهو المحاربة. الضراغم: الأسود. الآجام: الغابات. لم يجم: لم يصبه الوجوم وهو الهم والحزن.

315. إلى علم: إلى جبل شامخ.

الفصل العاشر

316. أيا نسيم الصَّبا إن كُنْتَ تُسْعِدُني ... بلّغْ سلامي إلى سكَّان ذي سَلَمِ
317. إن سِرْتَ يوماً بسَلعٍ أو بكاظِمةٍ ... فحيِّ عني حيَّاً.. ثَمَّ واحترِمِ
318. وعَفِّر الخدَّ عني بالبقيعِ وزُرْ ... قبراً حوى خيرَ خَلقِ الله والتَزِمِ
319. وطُفْ بهِ بدلاً عني بحُجْرَتِهِ ... وعانقِ الشَّبْكَةَ الشَّمَاءَ.. والتَثِمِ
320. وخُذمع القُرب قبل البُعد ماسَمَحَت ... بهِ يداهُ من الخيراتِ.. واغتنِمِ
321. وقُلْ لَهُ إنَّ نَجمَ الدِّينِ يسألُكُمْ ... أن تجعلوهُ منَ الغلمانِ والخَدَمِ
322. وأنْ تَرُدَّ يدَ الأعداء عنهُ كما ... ردَّ الغَيورُ يدَ الأغْيارِ عن حُرُمِ
323. وأنْ تُبَلِّغَه أقصى المطالبِ فيْ ... دُنيَا وأُخرى.. وفي عِلْمٍ وفي قَلَمِ

---

316. نسيم الصبا: مرت في بيت (2) ذي سلم: اسم موضع بالمدينة المنورة.

317. سلع: اسم جبل في المدينة المنورة. حياً: ورد في حاشية النظم أنها اسم قبيلة. ولعل مراد الناظم بـ(حي) النبي ❐ يريد أنه حي في قبره كما هو الشائع لدى الصوفية.

318. عفر الخد: مرّغه.

319. الشبكة الموضع الذي كثرت الآبار فيه، ومنه سميت شبكة الصيد لكثرة ثقوبها، ولعله يريد شباك النبي ❐. الشماء: العالية، وفي اللهجة المحلية في القوقاز. الشبكة: هي طربوش الصوف الذي يرتديه القوقازيون.

321. نجم الدين: هو الناظم نفسه رحمه الله، وقد تقدمت ترجمته في مطلع القصيدة.

324. لا يُحْسِنُ الخطبُ أنْ يُزرِي على أحَدٍ ... بالهاشميِّ أبي الزهراءِ معتصِمِ

325. إذا أضاعَ سواهُ المستجيرَ بِهِ ... فجارُهُ جارُ عِزٍّ غَيرُ مهتضَمِ

* * *

326. هذي بضاعتي المُزْجاةُ مُتْحَفةً ... من ملجأ الوَجْدِ فاني الصبرِ محتشمِ

327. هديةً دونَ قدرِ المصطفى قيماً ... وفوقَ مِقدارِ مُهديها من العجَمِ

328. ما فوقَها مبلغٌ لي في الثَناء ولا ... ترضَى بما بلغَتْهُ طاقَتيْ هِمَمي

329. ولم أجدْ إذ أجلتُ الفكر مبتغِياً ... حدَّاً يفي حقَّ معناهُ مِنَ العِظمِ

330. وقاصرُ الوَصْفِ عنْ تعريف رتْبتِهِ ... وَصْمٌ.. فَصُمْ عنه أو صفْهُ ولا تصِمِ

331. مالي وشرحي شيئاً ليس يشْرَحُهُ ... ذو النطقِ بالقولِ أو ذو الخَطِّ بالقلمِ

332. وهُنَّ أوضحُ من ذكري كما وضَحَتْ ... بالليلِ نارُ القِرى في قُبَّةِ العَلَمِ

333. والله أنزلَ في القرآنِ يَمْدَحُهُ ... آياً بأبلغِ ما يُقرأنَ مِنْ كَلِمِ

334. لكنَّ منْ لم يفرِّطْ حين يمدحُهُ ... بما استطاعَ من الإطراءِ لَمْ يُلَمِ

---

324. لا يُحسنُ الخطب: أراد أن الخطوب وهي المصائب لا تستطيع أن تهين رجلاً يعتصم بالنبيﷺ.

325. مهتضم: مأكول. وأراد هنا غير مغلوب وغير خاسر.

326. المزجاة: القليلة. متحفة: مهداة.

329. أجلت الفكر: تجولت بفكري.

330. الوصم: العيب والعار، أراد أن المدح القاصر عيب، فاترك الوصف القاصر أو صفه بالوصف الذي لا وصم فيه.

332. قنة العلم: قمة الجبل.

335. هَبْ أنَّها لَمْ تَزِدْ منْ قَدْرَه ولَكَمْ أبدى الصِّقالُ صفاءَ الصَّارِمِ الخَذِمِ
336. لذاكَ أَنْظُمُ دُراً قد نثَرَتُ لَهَا منْ أدْمُعِ العينِ دُرَّاً غيرَ مُنْتَظمِ
337. كلاهُما دُرَرٌ.. أنْفقْتُ أرْخصَها في جَلْبِ ما هو أغلى منهُ في القِيَمِ

* * *

338. صلَّى عليه إلهُ الخلقِ ما بَزَغَتْ شَمسُ الرّسالةِ تمحو غيهبَ الظُّلَمِ
339. وحَنَّ نحو الحجاز النوقُ تُرقِصُهَا حُداتُها بمليحِ اللَّحنِ والنَّغَمِ
340. يارَبُّ وارضَ عن الأصحابِ إنهُمُ زُهْرُ النُّجومِ هداةُ الناسِ في الظُلَمِ
341. لا سيَّما عن أبي بكرٍ خليفَتِهِ وخيرِهم بعدَ خيرِ الخلقِ كُلِّهِمِ
342. وعن أبي حفصٍ الفاروقِ صاحبِهِ ليثٍ لدى الحربِ ثبْتِ القلبِ والقدَمِ
343. وعن خليفتهِ عثمانَ أبْسطِهِمْ كفَّاً إذا ضاق جيشُ العُسْرِ من عُدُمِ
344. وعن عليٍّ أبي السبطينِ أشجَعِهِم وأعرفِ الصَّحبِ بالأحْكامِ والحِكَمِ
345. وآلهِ وذوي قرباهُ قاطبةً أهلِ النُّهى والهُدى والعِزِّ والكرمِ
346. واغفرْ كبائر ذنبي وهي إنْ كَبُرَتْ في جنْبِ عفْوِكَ يا غفَّارُ كاللَّمَمِ

---

335. الصقال: الصقل والشحذ. الصارم الخذم: السيف القاطع.
338. غيهب الظلم: سواد الظلمة.
339. حداتها: جمع حادي، وهو المغني في قوافل السفر.
342. ثبت القلم والقدم: ثابت القلب والقدم.
344. السبط: ولد الإبن أو البنت، والمراد بالسبطين الحسن والحسين عليهما السلام.
346. اللَمم: صغار الذنوب.

347. واجعلْ إلهي جَزائي منك رؤيَتهُ ... يومَ القيامةِ يُنجيني من الرَّقِمِ

348. وانقعْ غداً غُلّتي من ماءِ كوثَرِه ... كما سقانيه يارحمنُ في الحُلُمِ

349. واجعلْ جميلَ جميعِ المادحينَ لَهُ ... جيرانَهُ في جِنَانِ الخُلْدِ والنِّعَمِ

350. واجعل لأمَّتِهِ من كرْبِهم فَرَجاً ... وطالما أَغْرقَتْهمْ أبْحُرُ النَّدَمِ

351. وارزقهُمُ رحمةً عظمى تُبَشِّرُهم ... بعد الشتاتِ بشملٍ غير مُنْفَصِمِ

352. تُظِلُّهُم بظلالِ العرْشِ آمِنَةً ... من العذابِ أمَانَ الوحشِ في الحرَمِ

353. وظِلِّ رايتِهِ الخضراءِ رافِلَةً ... عليهُم وعلى النَّاجينَ من أُمَمِ

354. وانظُرْهُمُ نظرةً أخرى تؤَلِّفُهُمْ ... على طريقِ الهُدى المُنجِيْ من النِّقَمِ

355. وجدِّدَنْ لَهُم الإيمانَ إنَّهُمُ ... من قلةِ الأمنِ والإيمانِ في ظُلَمِ

356. واغفرْ لهمْ ثُمَّ أصلِحْ ذاتَ بينهِمُ ... معمورةً بالغِنَى والعِلْمِ والحِكَمِ

357. وأخْمِدِ البَغْيَ والعدوانَ بينهمُ ... بالعدلِ.. واعدِلْ بهم عن مَزلقِ القَدَمِ

358. وروِّجَنْ هذه الأمداحَ تُنْشِرُها ... مشهورةَ الصّيتِ بينَ العُربِ والعَجَمِ

359. مصحوبةً بفيوضٍ منكَ مُحْيِيَةً ... قلوبَهم كحياةِ الأرضِ بالدِّيَمِ

---

347. الرَّقم: المصائب الداهية.

348. النقع: الريّ، والغلة: شدة العطش، وانقع غلتي: أرو عطشي.

353. رافلة: خافقة وأصل الرفل التبختر، وأما تنكيره لفظ أمم فغير حكيم، وكان حقه أن يعرفه، ولو قال: الناجين في الأمم لكان أحكم، ولعل مراده: الناجين من أمم: أي من قريب!.

359. فيوض: جمع فيض وهي في الأصل الماء إذا فاض حتى سال في الوادي، ثم استعملت في كل خير كثير، الديم: المطر.

360. واجعلْ تلاوتها وِرداً لأمَّتِهِ **أحلى منَ العسَلِ الصَّافي بكلِّ فمِ**

361. وآتِيَنْ من تلاها ثمَّ سامعهَا **ومَنْ يطالِعُها من فضلِكَ العَمِمِ**

362. واحفظْ إلهيَ منْ يسعى لينشُرَها **خطأً وطبعاً من الإملاقِ والنِّقَمِ**

تمت بحمد الله

---

362. الإملاق: الفقر. النقم: جمع نقمة وهي المصائب.

الأشواق والترياق

نظم الشاعر الداغستاني العاشق
نجم الدين بن محمد بن دنوغونة

(قصيدة منتخبة من ديوانه)

الأشواق والترياق

1. للهِ ما أنا من سُمِّ الهوى لاقٍ — هل بالتلاقي الذي أهواه لي راقِ
2. فما لهذا الهوى العذريِّ عذَّبَني — بكلِّ نوعِ عذابٍ دون إزهاقِ
3. فكم أقاسي الليالي السودَ أسْهرها — أقلِّبُ الطرفَ في أرجاءِ آفاقِ
4. أرعى لأنجمِها في الجنحِ سائمةً — عطَّلْتُها هملاً من بعدِ إشراق
5. والصبرُ يوجدُني والوجدُ يعدِمني — والناسُ تجهلُ ما دائي وترياقي
6. من موجِ دمعي ونارِ الوجْدِ لي أبداً — عقوبتانِ بإغراقٍ وإحراقِ
7. ساءا عذاباً ولكن سيَّما لفتى — باقٍ... وما منهما يوماً له واقِ
8. كلاهما تاركي كالرِّيشِ أقلقه — بالصفصفِ القاعِ ريحٌ.. أي إقلاقِ

---

1. راق: اسم منقوص من الرقية،وهي في الأصل التميمة يقرؤها الرجل بغرض الشفاء، ثم غلب إطلاقها على وسائل العلاج، فالكلمة هنا بمعنى: الطبيب.
2. أراد أن الهوى يعذبني من غير أن يزهق روحي فيريحني من الحياة.
4. سائمة: صفة لنفس الشاعر، أراد أننفسه تعلقت بالمحبوب فأصبحت هائمة سائمة عاطلة من بعد أن أشرقت من قبل بالمعرفة والنجاح.
6. أراد أنه عوقب على تعلقه بالمحبوب عقابين اثنين: الغرق بماء الدموع، والحرق بنار الوجد.
7- السيما: بالتشديد، العلاقة، أي إن نار الوجد والدمع أصبحا سيمة باقية لفتىالأشواق.
8. الصفصف القاع: الأرض المستوية الواطئة، وهو اقتباس لطيف من الذكر العزيز: فيذرها قاعاً صفصفاً.

9. والوجدُ يخرجُ من زِنْدِ الحشى شَرَراً قدحاً فيحرَقُ قلبي مثل حرَّاقِ

10. ولم أَهِمْ بسُليمى أو سعاد ولا في سائرِ العربِ الأترابِ أشواقي

11. بل ليس ثَمَّ سوى أني نظرت إلى برقٍ على العلم الغربيِّ خَفَّاقِ

12. فيا لَهُ من وميضِ البرقِ ذكَّرني سنا محياً بنورِ الحُسنِ بَرَّاقِ

13. سنا محيَّا رسولٍ لا مثال له في حسن خلق ولا في طيب أخلاق

14. ما لاحَ لي ضوؤهُ إلا أجبتُ لَهُ بسائلٍ من دموع العينِ مهراقِ

15. بل شِمْتُهُ وضلوعي والدموعُ غَدَتْ ينسينني كل خفَّاقٍ ودفَّاقِ

16. إذا توقَّدَ قلبي بالهوى خَرَجَتْ محابِسُ الدَّمعِ من عيني باطلاقِ

17. ولم أجدْ بعده صحواً... ومن عجب سكرانُ ليسَ له خمر ولا سَاقِ

18. يا لائمي في الهوى سكري فمعذرتي إنّي سكرتُ ولكن سكر عشَّاق

19. ومن يكن في هوى المختارِ سكرَتُهم فهم وإنْ سكروا ليسوا بفُسَّاقِ

20. ومَنْ درى شِيَمَ المختارِ ثُمَّ غدا إلى فسيحِ حماهُ غَيرَ مُشتاق؟؟..

---

11. العلم الغربي: الجبل الغربي، ولم يظهر لي وجه في هذه التسمية، ولعله أراد الإلماح إلى تكليم الله لموسى على الجبل الغربي، (ما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر)، فجعل الجبل الغربي ميقاتاً للعشاق.

ويمكن أن يقال: الغارب هو العالي النازح عن الناس.

15. شمته: أحسسته.

20. في الأصل (غنا) ولم أجد له وجهاً، والبيت استفهام استنكاري معناه: من ذا الذي يدري شيم المختار وشمائله ثم لا يغدو مشتاقاً إلى نسيم حماه؟

21. يا سيدي أنت بعد الله لي سند ... في كفِّكَ الرَّحبِ مفتاحي ومِغلاقي

22. لا يبتغي المرتجي من راحيتكَ غِنى ... إلا وأطلقته مِن قيد إملاقِ

23. يا فاتحَ الرَّاحة الرَّحراحِ يبسُطها ... في كُلِّ مَحْلٍ لذي فقر بإنفاقِ

24. والمؤمنُ العائذُ المرعوبُ يدخله ... إلى منيعِ الحِمَى من غيرِ إشفاقِ

25. أقومُ في بابِكَ المفتوحِ ذا أَمَلٍ ... أرجو بكُم من عذابِ اللهِ إعتاقي

26. وأستغيثُك في دائي العُضَال إذا ... لم يبق مِنّى إلا عُشْرُ أرماقي

27. أستغفرُ اللهَ مِمَّا كنتُ مقترفاً ... من كل ذنب من الرضوان عوَّاقِ

28. كم حالَ دونَ مراضى اللهِ تحلؤنى ... عنها بشوكتها أضرابُ أعواقِ

29. حتَّى أتيتُ رسولَ اللهِ مُشتكياً ... والغِلُّ في عُنقي وَالقيدُ في ساقِي

30. إذْ ناءَ بِىْ وقر فقري ثُم أثقلني ... مغارِمٌ حَمَّلوها فوق أعناقي

31. يا خيرَ من نزلَ العافونَ ساحتَهُ ... وبادَروها على خيلٍ وأنْوَاقِ

---

22. الإملاق : الفقر.

23. الرحراح: المتسع، وأكثر استخدامها في البستان الواسع غير المسوَّر، والمحل: سنوات القحط والجفاف.

26. أرماق : جمع رمق، وهو بقية الحياة.

28. تحلؤني: حلأ بالسيف والعصا إذا ضرب به، أضراب أعواق: جمع ضرب وجمع عوق، أراد أنواع المعاصي التي تعوق من بلوغ منزلة الرضوان.

30. وقر فقري: الوقر الثقيل المضني.

31. العافون : السائلون.

32. هيهاتَ أنْ تحلأَ الورَّادَ عن شُرَعٍ ... أو تُغلِقَ البابَ يوماً دونَ طَرّاقِ

33. وأنتَ أوفَى الورى عهداً وأكرَمُهم ... لولاكَ ما خُلِقَ الفانِي ولا البَاقي

34. عرجْتَ تخترقُ السَّبْعَ الشّدادَ إلى ... مرقى تقاصَرَ عنهُ قبْلَكَ الرَّاقي

35. ونلتَ في القربِ قدراً ليسَ يعلَمُهُ ... على الحقيقةِ غيرُ الواحدِ البَاقي

36. وعدتَ من عندهِ ريَّانَ من حِكَمٍ ... شَرِبْتَ أبحُرَها.. والخالقُ السَّاقِيْ

37. أتيتَ ثَمَّ علوماً ليسَ يَضبِطُها ... ذَوُو الخُطوطِ بأنْقاسٍ وأوْرَاقِ

38. عنايةُ اللهِ من بينِ العَوالِمِ قَدْ ... قَضَتْ بذاكَ لَهُ في يومِ مِيثَاقِ

39. مدحِي جِنابكَ يا خيرَ الورى سببٌ ... أغنى بهِ عند إفلاسي وإملاقي

40. وعلةٌ لم أزَلْ أرجُو بها فَرَجاً ... في كُربتي وأمانِيِّ يومِ إشناقي

41. فما تمحَّض شِعري في مدائِحِهِ ... إلاَّ تفتَّح لي أبوابُ أرزَاقِ

42. نذرتُ لله بعدَ اليَوْمِ مدحَكم ... فسوفَ أصرفُ فيه عمري البَاقي

43. هَبْني استعرتُ لَهُ في كُلِّ قافية ... مِنَ الغواني غوالِي دُرِّ أطْواقِ

---

32. تحلأ الوراد: الوراد جمع وارد، طالب السقيا، وتحلأ الوراد تضربهم أو تطردهم.

شرعاً: شرع الوارد: إذا تناول الماء بفيه والمراد: حاشاك أن تطرد العطاش عن معينك الصافي المشروع لكل وارد.

. طراق: جمع طارق وهي في الأصل: زائر الليل، وهنا جاءت لمعنى أي سائل.

37. النقس: المداد ويطلق على كل مايكتب به.

40. يوم إشناقي: الاشناق: هو تعليق اليد بالعنق وهو تصوير لحال العباد يوم القيامة((وأما من أوتي كتابه وراء ظهره)) يجيء ويده مغلولة إلى عنقه من وراء ظهره.

44. ثُمَّ استعنتُ له في العالمينَ بِمَنْ ... يُهذِّبُ الشِّعْرَ مِنْ أحزابِ حذَّاقِ

45. فسارَ سِحْرَاً حوى في بحره حكَماً ... شتَّى تُهدِّدُ لقماناً بإغراقِ

46. حتَّى غَدا كلُّ حَرْفٍ منه يُفْحمهم ... بكُلِّ معنىً إلى الإعجازِ سيَّاق

47. ترى العنادِلَ تعيَى حينَ تسمَعُهُ ... وتختفي خجلاً في خِدْرِ أوراقِ

48. ما زادَهُ شرفاً شعْري ولا عَجَبٌ ... هلْ زادَ بالمَدْحِ ضَوءاً نورُ إشراقِ

49. لكِنْ سجيةُ نفسٍ كادَ يُحْرِقُها ... نارُ الجَوى عالَجَتْ من حرِّ أشواقِ

50. فحرَّكت أبحرَ الأذْكَارِ ناشرَةً نفيسَ لؤلئِها مِنْ طيّ أَعْمَاقِ

51. حتَّى غدت كلماتي كُلُّها دُرَرَاً لو بِعْنَ أنفقت فيها كُلَّ أعلاقِ

52. أزيرُها قُرَشياً في أَسِرَّته نورٌ ومِنْ راحَتيه محوُ إملاقِ

---

44. أحزاب: جمع حزب، وحذاق جمع حاذق وهو العارف الخبير، والمراد خيرة العارفين بالشعر من سائر الأحزاب.

العنادل: جمع عندليب، أو جمع أمرأة عندله، فالعندليب: طائر يصوت ألواناً مشهور بحسن صوته، والعندله: المرأة ضخمة الثديين، والمعنيان محتملان.

والحذر: الستر. والأبيات الستة من ((43 – 48)) في بيان المعنى متكامل هاك بسطه: هب أنني استعرت أغلى الأطواق والدرر من أجل أن أنظمها شعراً في مدح النبي وكذلك استعنت بكل الحذافين من الشعراء علىاختلاف ميولهم وأصبح شعري يفيض حكماً بالغة كالحر يغرق فيها لقمان الحكيم.

وأصبح لكل حرف منها اعجاز مدهش تختفي منه العنادل في خدورها فإن ذلك كله لا يزيده شرفاً ولا نوراً لأنه منبع الشرف والنور.

52- يشبه هذا البيت ماقاله الشاعر نفسه في ميميته السالفة:

أزيرها هاشمياً في أسرته نور ومن راحتيه منبع الكرم

أزيرها: من الزور، وهو السير الشديد مع الشرق، أراد أنني أحمل هذه المدائح إلى النبي مكللة بالشوق.

53. هديةً لرسولٍ طابَ عُنْصُرُه وزانَهُ طيبُ أغصانٍ وأوراقِ
54. جواهِراً بسواهُ غيرُ لائقةٍ وهل تليقُ الحُلَى إلاَّ بأعْنَاقِ
55. كتبتها ومدادى من سوادِ دُجىً أدافَ فحمتَهُ أمواهُ آماقِ
56. هوَ الذي أيَّدَ الرحمنُ جانِبَهُ بِكُلِّ ليثٍ إلى الغَارَاتِ سبَّاقِ
57. يقضُونَ بالعَدْلِ لكنْ ما جزاؤهم لِمُنْكِرِ الحَق إلاَّ حزُّ أعناقِ
58. تعصى أكفُّهُمُ بالبيضِ بارقةً والحربُ قائمةٌ يوَماً على سَاقِ
59. من كُلِّ مُسْعِرِ حرب في ملاحِمِه إلى لُحومِ أعادي الدِّينِ مُشْتَاقِ
60. يَصُوُل أروعَ في عرنينه شَمَمٌ بصَارِمٍ لرؤوسِ الصَّيْدِ فلاّقِ
61. من كُلِّ كَهْل شديدِ الكاهلينِ لَهُ نشاطٌ شابٍ طَرِيِّ اللَّحْمِ غَرْنَاقِ

---

55. أدافَ: مزج وخلط، أراد أنني كتبت أشواقي هذه بمداد من سواد الليل ممزوجاً بمياه آما في ودموعي، والآماق: جمع ومق وهو منبع الدمع في العين، وهو أيضاً: الحب بدون ريبة.

58. تعطى أكفهم بالبيض: تضرب بالسيوف، ويقال عصي بعصا: أي لعب بها كما يلعب بالسيف، ومراده أن السيوف مطواعة لهم في أيديهم.

59. وهذا البيت يشبه البيت قوله في ميميته السالفة:

من كل مسعر حرب في ملاحمه إلى لحوم عدا خير الورى لَحِمِ.

ومسعر الحرب: مشعلها.

60. الأروع: الرجل الكريم ذو الجسم والجهارة والفضل والسؤدد.

العرنين: الأنف، بل ذروة الأنف تحت مجتمع الحاجبين حيث يتبدَّى الشمم والإباء.

والصارم: السيف الماضي.

61. شديد الكاهلين: شديد الكتفين، غرناق: شاب غرناق وغرنوق: شاب أبيض مكتمل جميل.

ساقه تلتف بالساق: تعبير قرآني (والتفت الساق بالساق) إشارة إلى عجزهم عن فعل أي شيء في مقاومة فرسان الصحابة، كأنما ربطت أرجلهم بعضها ببعض.

62. وكلِّ شابٍ وقورٍ في تَقَلُّبِهِ كأنَّه الكَهْلُ في حِلْمٍ وإطْرَاقِ
63. ترى السماءَ بغيمٍ من غبارِهِمُ سوداءَ مغبرةً أَرجاءَ آفَاقِ
64. والكُفْرُ ما بينَ مستَلْقٍ ومُنْبَطِحٍ وقائمٍ ساقُهُ تلتفُّ بالسَّاقِ
65. جابوا مع اللَّيْلِ أغفالاً فعرضتهم عندَ السَّرى قائِمٌ مجهولُ أعماقِ
66. تراهُمْ ناعسي الأَجفانِ... آمِنَةً في الحربِ...والحربُ في هَوْلٍ وإقلاقِ
67. أمّا العِدىْ فسُكارى مِنْ لقائِهِمُ لا سُكْرَ خَمْرٍ ولكِنْ سُكْرَ غَسَّاقِ
68. حَثُّوا النَّجاءَ إذا فروا فهارِبُهُمْ يُنْسيكَ في عدوهِ عمرو بنَ برَّاقِ
69. فَرُّوا وقد عَلِمُوا أَنْ ليس عندهُمُ مِنَ العِدَى في الوغى مُغْنٍ ولا وَاقِ
70. لم يبقَ منهم سِوى أشلاء شائلةٍ بها الطيورُ إلى أنحَاء آفاقِ

---

65. جابوا: قطعوا وخرقوا، أغفال: جمع غافل، وأكثر ما تطلقها العرب على الصيد، فتقول: صاد أغفالاً، أي هو صاحٍ لهم وهم غافلون عنه.

66. ناعس الأجفان: من النعاس، والنعاس في الحرب محمود، لأنه علامة الظفر والأمن،إذ الخائف لا ينعس، قال تعالى: {إذ يغشيكم النعاس أمنة منه}.

67. الغساق: ما يغسق ويسيل من جلود أهل النار وصديدهم من قيح ونحوه.
وفي الأصل (عساق) وهو تصحيف.

68. حثوا النجاء: قصدوا النجاة .
عمرو بن براق: هو عمرو بن الحارث النهمي ويعرف بابن براقة وهي أمه، شاعر همدان قبل الإسلام، اشتهر بسرعة عدوه، عاش إلى أيام عمر.

70. أشلاء شائلة : قطع أجسادهم مبعثرة.

71. يا ربِّ صلِّ على سِرِّ الوجودِ... ومَنْ لولاهُ ما خُلِقَ الفاني ولا الباقي

72. صلَّى عليك إلهُ الخلقِ ما صدَحَتْ تَبْكي الأليفَ حَمَامٌ ذاتُ أطواقِ

73. وماترنَّحتِ الأغصانُ مائسةً من حلَّتَيْ سُنْدُسٍ من خُضْرِ أَوْرَاقِ

74. والآلِ والصَّحبِ والأتباعِ ماانفَجَرَتْ بالدَّمعِ ساهرةً أجفانُ عُشاقِ

تمت القصيدة النجمية في مدح الحضرة النبوية للشاعر المفلق نجم الدين الحزي

---

72. الأليف: الحبيب.

73. مائسة: من الميس وهو الرقص.

الأشواق والمزامير

نظم الشاعر الداغستاني العاشق
نجم الدين بن محمد بن دنوغونة

(قصيدة منتخبة من ديوانه)

الأشواق والمزامير

1. لاينفعُ المرءَ في دُنياه تدبيرُ إلاَّ إذا ساعدَ التدبيرَ تقديرُ
2. وليسَ يُنجيهِ عن حكمِ الإلهِ وما قضاهُ جِدٌّ ولا يجديهِ تحذيرُ
3. واللهُ في عالَم الإمكان عادَتُهُ لحكمةٍ حارَ فيها العَقْلَ تعييرُ
4. وما الحياةُ وإنْ طالَتْ سوَى عِبَر لَهُنّ في عَرَصاتِ الحشر تَعبيرُ
5. وإنّ زهرتها رُؤيا سيظهر في تأويلِها أَنَّها زُورٌ وتزويرُ
6. وكلُّ حيٍّ من الدُّنيا له سَفَرٌ وما لَه بحثيثِ السَّعيِ تَقْصيرُ
7. من ذا الذي عاشَ في الدنيا على دَعَةٍ ولم يجرِّبْهُ تيسيرٌ وتعسيرُ
8. وأيُّ مصباحِ نَجْمٍ غيرُ مُنْطَفىءٍ وغايةُ الشمسِ إطفاءُ وتكوير
9. كم للمُنى والمنايا في اختلافهما في مدَّة العُمْر تطويلٌ وتقصيرُ
10. فالقصرُ والقبرُ موقوتٌ مقامُهما بمدَّةٍ حدَّها في اللَّوحِ تقدير
11. فكلُّ ساكنِ دارٍ فهو مرتحلٌ يوماً وإنْ سوَّفَ التِّرْحَالَ تَأْخِيرُ
12. وكلُّ يومٍ مضَى أدناهُ مرحلَةً قهراً إلى القَبْرِ لا يقصيهِ تدبير
13. فَنبَّه الموتُ منهم حينَ يطرقُهم من لم ينبهُهُم وعظٌ وتذكير

---

5. زهرتها: زهرة الحياة الدنيا ومباهجها.

6. القير والقار: لغتان، وهو الزفت الأسود الذي تطلى به السفن.

14. وأفهمَتهم من القرآنِ ضبطتُهُ لغزاً تحيَّرَ في معناهُ تفسيرُ
15. حتى غدا بعد درسِ اللحدِ مُلْحدُهم كأنه وهو في التوحيد نحريرُ
16. والنفسُ تأمرُ أو تنهَى لها أبداً في الشرِّ والخيرِ اغراءٌ وتحذيرُ
17. وعن قريبٍ تقومُ الخَلْقُ يحشُرُهم من لا يخادِعُهم مكرٌ وتزويرُ
18. يَجزى العبادَ على الأعمالِ ليسَ لهُ إلاَّ على حَسَبِ التقصيرِ تعذيرُ
19. ليبعثن غَداً غُرَّاً تُكلِّمهم أيديهُمُ بكلامٍ فيهِ تخبيرُ
20. حتى لقد شهدَتْ أعضَاؤهم ولها هناكَ إذ خرسوا نطقٌ وتعبيرُ
21. لكنَّ معصيةَ المخلوقِ ليسَ بها لبحرِ رحمةِ ربِّ العرشِ تكديرُ
22. فكلُّ ما جَرَياتِ الكونِ ثابِتَةٌ في اللَّوحِ ليسَ لها في اللوحِ تغييرُ
23. والعمرُ معترَكُ الاحوالِ يلْحَقُ في أثنائهِ الحيَّ تحذيرٌ وتبشيرُ
24. والمرءُ في حالَتَي دنياهُ يفتِنهُ في المالِ والأهلِ تقليلٌ وتكثيرُ
25. وعائبٌ عابني لما عَثَرْتُ وما لي في العثورِ وأيْمُ الله تقصيرُ
26. وربَّ عاثرِ قومٍ لا تقولُ له لفظاً يطولُ بهِ في القوم تعييرُ
27. قومي الأُلَى أوقعوني في البلاءِ وقد يجري على مقتضى الإيقاعِ تقديرُ
28. حتَّى لقدكسروا قلبي إذا خبروا عليَّ فيما لحرٍّ فيهِ تنجيرُ
29. ما كان من كثرةِ الطاعاتِ يفضلُهُم لكنْ بشيءٍ لَهُ في الصّدرِتوقيرُ
30. من عاشَ والذكرُ هجّيراهُ عجَّلَهُ إلى المكارمِ والخيراتِ تهجيرُ

---

14. ضبطته: دقته وإعجازه.

30. هجيراه: بتشديد الجيم: دأبة وعادته، وفي حديث عمر رضي الله عنه: ماله هجيرى غيرها.

31. فذاكَ كلُّ شحيحٍ ظنَّ منْ سَفَهٍ إنَّ السخاوةَ إسرافٌ وتبذيرُ

32. وكلُّ فظٍّ عبوسٍ حينَ نسأَلهُ يزيدُ خدَّيْهِ شيئاً منه تصعيرُ

33. كم غزوةٍ قلتُ فيها حينَ أنفق ما ملكتُهُ بعدما ضَنَّ المياسِيرُ

34. حسبى من المالِ ربّي والرَّسولُ فَمَا لغيرِ ربّي إغناءٌ وتفقيرُ

35. يا خيرَ جاءٍ لخيرِ العالمينَ... له من جارهِ حرمةٌ تُرجى وتوقيرُ

36. كُنْ لي شفيعاً معيناً في مُناي إذا لم يُجدني الجدُّ في بؤسٍ وتدبيرُ

37. لعلَّ يخرجُ لي إنْ فُهتَ تتبَعُ لي لنصرتي نَفَسٌ من فيه معطيرُ

38. وطالما قمت في باب الرسول ولي إليهِ في الضيق من شَكواى تكثيرُ

39. كم لي إلى جاهه شكوى يُبَثُّ له في قلبِ ذي الرَّحمةِ الحنَّان تأثيرُ

40. أدعوا إليهِ وأخشى أنْ سيُسْئمُهُ تجديديَ العرضَ في عسرٍ وتكريرُ

41. يا أحكمَ الصَّحْبِ هلاَّ ما تُفرِّجُنى مِنَ الرسول بما لِي فيهِ تبشيرُ

42. هيهاتَ أن تزجراني إذْ رجوتُكما في العُسْرِ إلا بما لِي فيهِ تيسير

43. قد جئتُكم بذنوبٍ أوجبَتْ تلَفَي لها مِنَ النَّفسِ والشيطان تزويرُ

---

32. تصعير الخد: الصعر ميل في الوجه، وقيل بل في الخد خاصة، وهو انقلاب في الوجه إلى أحد الشقين، وهو قبح مشين.

33. ضن المياسر: المياسر جمع موسر، والمراد انفقت وأنا مقل حينما بخل الأغنياء .

35. جاءٍ: أسم فاعل من المجيء وهو قليل الاستعمال .

37. فهمت: نطقت، معطير: فعيل صيغت مبالغة من معطر، ومراده أن النبي إذا نطق في نصرتي والشفاعة لي خرج من فيه عطر فيه شفاء ورحمة.

41. يا أحكم الصحب: أراد به التوسل إلى النبي بجاه أحكم أصحابه وهو أبو بكر الصديق.

44. يا صاحبَيْ غارِ ثورٍ حيثُ ثارَ لَهم كطالبي الثأرِ إذْ سارَ الخنازيرُ
45. يا ليتَني كنتُ حيّاً في حياتِكُمُ حتَّى أفوزَ بما لِي فيهِ تطهيرُ
46. أو لَيْتَني كنتُ كلباً دونَ غارِكُمُ كأنَّني بوحيدِ الكهفِ قطميرُ
47. أو كانَ منِّى لكم كابنِ الأُريقظ مَنْ قد دلَّكُمْ من طريقِ البَحرِ شميِّرُ
48. أو لَيْتَ إذ ولدتني الأُمُّ خَصَّصَّني لخدمتي روضةَ المختارِ تحريرُ
49. حتى أقاربَ مَنْ في قُرْب ساحتِكم تقرباً فيهِ للآثامِ تكفيرُ
50. هَلاَّ لخدي ياخيرَ الأنامِ على ترابِ تربتِكَ الفيحاءِ تعفيرُ
51. هلاّ لجيبي ياخيرَ العوالمِ مِنْ عبيرِ روضتِكَ المِسْكيِّ تعطيرُ
52. يا ليتَ شعْري متى ظَفْرى بزورةِ مَنْ في بابهِ الرَّحبِ للحاجاتِ تظفيرُ
53. حتى أحطَّ رحالي دونَ حُجرته وقد جرىً منه للعبراتِ تفجيرُ
54. أجثُو على ركبَتَي فيها وليْ كَرْبٌ سالَتْ بها مِنْ مآقيَّ النَّواعيرُ

---

46. قطمير : اسم الكلب الذي تبع أصحاب الكهف إلى كهفهم وجاء ذكره في القرآن {وكلبهم باسط ذراعيه بالوسيط}
47. ابن الأريقظ: هو عبد الله بن أريقظ الذي استأجره النبي ❐ ليدله على طريق المدينة يوم الهجرة وكان ماهراً بالطرق والشعاب، والشمير: هو الرجل المجرب الماضي في الأمور والحوائج.
48. تحرير: وصية،أراد : ليت أمي أوصت أن اخصص منذ طفولتي لخدمة روضة المختار.
51. لجيبي: الجيب فتحة في الثوب أعلى الصدر.
52. بزورة: الزور واحدة الزيارة. تظفير: تفعيل من الظفر وهو الفوز .
54. النواعير: دولاب ينقل به الماء من أسفل إلى علو وهي كثيرة في حماه في بلاد الشام.

55. في بُقْعَةٍ وُطِئَتْ يوماً بأخْمَصِهِ لها من الخَلقِ بالتقبيلِ تعميرُ
56. وللوجوهِ إذا مسَّتْ مَواطِئَهُ من السعادةِ نورٌ فيهِ تنويرُ
57. كم للخدودِ عليها منذ قدَّسها مسَّاً بحَافِره اليَعْفورُ تَقْفيرُ
58. يا مَنْ تلا مَدْحَهُ الأَحبارُ في الصُّحفِ الـ أولى وأعجَزَهُمْ في الحَمْدِ تحبيرُ
59. تلاهُ موسى وعيسى في كتابِهما لولا لِمَنْ قد تلاهم فيه تغييرُ

60. أنت الحبيبُ الذي في مدحِهِ زُمِرتْ مِنْ منذُ مبعثِ داوودَ المزاميرُ

61. وصارَ ريحاً رَخاءاً من كرامته أيامَ ملكِ سليمانَ الأعاصيرُ

62. وعادَ برداً سلاماً للخليلِ بهِ نارٌ لها مِنْ أعادي اللهِ تسعيرُ

63. قد طابَ حيّاً وميتاً غيرَ مُنقَطعٍ للخَلْقِ في حالتَيْهِ منهُ تدبيرُ

64. أَقْبِلْ عليَّ بوجهٍ في أَسرَّتِهِ للبِشْرِ إذْ طلبُ المعروفِ تنويرُ

65. وانظُرْ إلى لائذٍ يدعو إليكَ وفي أحشائِهِ من عذابِ العشقِ تغريرُ

66. من زالَ ينفخُ في نارَيْ نوىً وجوىً حتَّى تنفَّسَ من أنفاسهِ كيرُ

---

55. أراد أن الأرض التي وطئتها قدم النبي❐ عامرة بتقبيل الخلق لها.

57. يعفور : اسم حمار كان للنبي ❐ ، والتعفير: جمع التراب باليدين. ومراده أن يصف تزاحم العشاق في كل أرض وطئها حمار النبي فهم يتبركون بترابها فيجمعونه ويعفرون خدودهم عليها.

58. تحبير: بذل الجهد في صناعة الكتابة والتأليف، أراد أنهم عجزوا عن التأليف في مدح النبي❐ كما يليق بمقامه.

60. زمر: غنَّى، والمزامير: فصول من المناجاة كان يضرع بها نبي الله داود.

66. كير: بيت النار، ومنه كير الحداد،إشارة إلى نار العشق في أحشائه.

67. ما عادَ من عندِكَ العافِيْ وما لَهِدَتْ لهُ بوقرِ الجِدَى مِنْ جُودِكَ العيرُ

68. كَمْ طالَ لي أملٌ فيكم... وقصَّرني عن قربكم زَمَنَ الامكانِ تقصيرُ

69. فخيرُ كفارتي استغفارُكُمْ... فَبِهِ لسيئاتِ جميعِ الخلقِ تكفيرُ

70. وأنتَ مفزَعُ كُلِّ المرسلينَ لَهُمْ في الحَشْرِ تحتَ لواءِ الحمدِ تكبيرُ

---

67. العافي: السائل: لهدت: ثقلت واللهيد من الابل: الذي أثقلته الأحمال حتى ضاقت أنفاسه. وقر الجدى: ثقل العطايا. ومعنى البيت: ما عاد من عندك العافي بدون أن تلهد عيره، أي لا يمكن أن يعود السائل من بابك إلا وبعيره ملهود بأحمال عطاياك.

ملحق خاص

قصيدة البردة

رأيت أن من المفيد أن أضع بين يدي القارئ الكريم قصيدة البوصيري (البردة) وهي التي جاءت قصيدة ابن دنوغونة الداغستاني معارضة لها ومحاكاة معها ومواصلة لمعانيها.

وقد كان ابن دنوغونة حريصاً كلَّ الحرص أن يقتفي أثر البوصيري في معانيه وألفاظه وقوافيه فجاء في ذلك موفقاً غاية التوفيق ملهماً أدقَّ الإلهام.

وقد أوردت لك الأبيات كاملة مشكولة، وشرحت لك بعض غريب ألفاظها، بما يكفي القارئ الكريم للوقوف على جملة المعنى العام الذي أراده البوصيري رحمه الله.

قصيدة بردة المديح

للإمام شرف الدين أبو عبد الله
محمد البوصيري الصنهاجي

الفصل الأول

أمنْ تذَكُّر جيرانٍ بذي سَلَمِ[1] مزجت دمعاً جرَى من مُقلةٍ بدمِ
أَمْ هبّتِ الريحُ من تلقاء كاظمةٍ[2] وأومضَ البرقُ في الظلماءِ من إضَمِ[3]
فما لعينيكَ إنْ قلتَ اكفُفَا هَمَتَا وما لقلبِكَ إن قلتَ استفقْ يَهِمِ
أيحسبُ الصَّبُّ أنَّ الحبَّ منكتمٌ ما بينَ منسَجِمٍ[4] منه ومضطرمِ[5]
لولا الهوى لم تُرِقْ دمعاً على طَلَلٍ ولا أرِقتَ لذكرِ البانِ والعَلَمِ[6]
فكيفَ تنكرُ حُباً بعدمَا شهدتْ به عليك عدولُ الدَّمعِ والسقمِ

---

(1) سلم: موضع في المدينة المنورة.
(2) كاظمة: من أسماء المدينة المنورة.
(3) إضم: جبل قرب المدينة المنورة.
(4) منسَجِمٍ: غزير.
(5) مضطرم: خفاق
(6) البان والعلم: من شجر المدينة.

وأثبتَ الوجدُ خَطَّي عبرةٍ وضَنىً ... مثلَ البَهارِ[1] على خديك والعَنَمِ[2]

نعم سرى طيفُ من أهوى فأرَّقني ... والحبُّ يعترضُ اللذاتِ بالألمِ

يا لائمي في الهوى العذريِّ معذرةً ... مني إليكَ.. ولو أنصفتَ لم تَلُمِ

عدتْكَ[3] حالي.. لا سرِّي بمستترٍ ... عن الوشاةِ.. ولا دائي بمنحَسِمِ

محضتني النصحَ.. لكن لستُ أسمَعُهُ ... إنَّ المحبَّ عن العذَّالِ في صَمَمِ

إني اتهمتُ نصيحَ الشيبِ في عذلي ... والشيبُ أبعدُ في نصحٍ عن التُّهَمِ

---

(1) البهار: ورد أصفر.

(2) العنم: شجر أحمر يشبه ما يسمى في بلادنا (الزعبوب).

(3) أصابتك العدوى مني.

الفصل الثاني

فإنَّ أمَارتي بالسُّوء[1] ما اتعظتْ ... من جهلِها بنذيرِ الشَّيبِ والهرَمِ

ولا أعدَّتْ من الفعلِ الجميلِ قِرى[2] ... ضيفٍ[3] أَلَمَّ برأسي.. غيرَ محتشمِ

لو كنتُ أعلمُ أني ما أوَقِّرُه ... كتمتُ سِرَّاً بدالي منه بالكَتَمِ

من لي بردِّ جِمَاحٍ[4] عن غوايتها ... كما يُرَدُّ جِماحُ الخيل باللُّجُمِ

فلا ترمْ بالمعاصي كسرَ شهوتِها ... أنَّ الطعَام يقوي شهوةَ النَّهمِ

والنفسُ كالطفلِ إنْ تهملْهُ شبَّ على ... حبِّ الرَّضاعِ وإن تفطمْهُ ينفطمِ

فاصرِفْ هواها وحاذِرْ أن تولِّيَه ... إنَّ الهوى ما تولَّى[5] يُصْمِ أو يَصِمِ[6]

---

(1) أمارتي بالسوء: أراد نفسه.

(2) قرى: ضيافة.

(3) أراد بالضيف في رأسه: الشيب. والقرى الملائم لهذا الضيف هو العبادة والطاعة.

(4) جماح: هي الخيل الهائجة: أراد بها نفسه التي تنازعه على مقارفة الإثم.

(5) ما تولى: إذا تولى.

(6) يُصم: من الصمم أو يصِم: من العيب والوصم.

وراعِها وهي في الأعمالِ سائمةٌ[1] وإن هي استحْلتِ المرعى فلا تُسِمِ

كم حَسَّنَتْ لذةً للمرءِ قاتلةً من حيث لم يدرِ أن السُّمَّ في الدَّسَمِ

وأخشَ الدَّسائسَ من جوعٍ ومن شِبَعٍ فربَّ مخمصةٍ شرٌّ من التُّخَمِ

واستفرِغِ الدَّمعَ من عينٍ قد امتلأتْ من المحارِمِ والزمْ حِمْيَةَ النَّدمِ

وخالفِ النفسَ والشيطان واعصِهما وإن هما مَحَضَاكَ النُّصْحَ فاتَّهِمِ

ولا تُطِعْ منهما خصماً ولا حكماً فأنتَ تعرفُ كيدَ الخصمِ والحكَمِ

أستغفرُ الله من قولٍ بلا عملٍ لقد نسبتْ به نَسْلاً لذي عُقُمِ

أمرتُكَ الخير لكن ما أئتمرت به وما استقمتُ.. فما قولي لك استَقِمِ

ولا تزوَّدتُ قبلَ الموتِ نافلةً ولم أصلِّ سوى فرضٍ ولم أصُمِ

---

(1) سائمة: من السوم وهو الرعي.

الفصل الثالث

ظلمتُ سُنَّةَ من أحيا الظلامَ إلى ... أن اشتكتْ قدماهُ الضُرُّ من وَرَمِ

وشدَّ من سَغَبٍ[1] أحشاءَه وطوى ... تحت الحجارةِ كَشْحاً[2] مترف الأدَمِ[3]

وراودتْهُ الجبالُ الشمُّ من ذَهَبٍ ... عن نفسِهِ.. فأراها أيَّما شَمَمِ[4]

وأَكَّدتْ زهده فيها ضَرورتُه ... إنَّ الضرورةَ لا تعدو على العِصَمِ

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورةُ من ... لولاهُ لم تخرُجِ الدنيا من العَدَمِ

محمدٌ سيِّدُ الكونين والثقليـ ... ـن والفريقينِ من عُربٍ ومن عجَمِ

نبيُّنا الآمرُ النَّاهي فلا أحدٌ ... أبرَّ في قولِ لا منهُ ولا نعَمِ

هو الحبيب الذي ترجى شفاعتُهُ ... لكلِّ هولٍ من الأهوالِ مقتحمُ

دعا إلى الله فالمستمسكون به ... مستمسكون بحبلٍ غيرِ مُنفصِمِ

فاقَ النبيينَ في خَلْقٍ وفي خُلُقٍ ... ولم يُدانوه في عِلمٍ ولا كَرَمِ

---

(1) سغب: جوع.

(2) كشحاً: خصراً.

(3) مترف الأدم: الأدم هو الجلد والمراد: ناعم الجلد.

(4) شمم: الرفض مع الإباء.

وكلُّهم من رسولِ الله ملتمسٌ غرفاً من البحرِ أو رَشْفَاً من الدِّيَمِ[1]

وواقفون لديهِ عند حدِّهمُ من نقطةِ العلمِ أو من شكلةِ الحكَمِ[2]

فهو الذي تمَّ معناهُ وصورتُه ثم اصطفاه حبيباً بارىءُ النِّسمِ[3]

مُنَزَّهٌ عن شريكٍ في محاسنِهِ فجوهرُ الحسنِ فيه غيرُ منقسمِ

دعْ ما ادَّعته النصارى في نَبيِّهِمْ واحكم بما شئتَ مدحاً فيه واحتكمِ

وانسبْ إلى ذاته ماشئتَ من شَرَفٍ وانسبْ إلى قدرهِ ماشئتَ من عِظَمِ

فإن فضل رسول الله ليس له حدٌّ فيعربَ عنه ناطِقٌ بفمِ

لو ناسبتْ قدره آياتُه عظماً أحيا اسمه حين يدعى دارسَ الرَّمَمِ[4]

لم يمتحنَّا بما تعيا العقولُ به حرصاً علينا فلم نرتبْ ولم نهمِ[5]

أعيا الورى فهمُ معناه فليس يرى للقربِ والبعدِ فيه غيرُ منفحِمِ

كالشمسِ تظهرُ للعينينِ من بُعُدٍ صغيرةً وتُكِلُّ الطرفَ منْ أَمَمِ[6]

وكيف يُدْرِكُ في الدنيا حقيقَتهُ قومٌ نيامٌ تسلُّوا عنه بالحُلُمِ

فمبلغُ العلمِ فيه أنَّهُ بشرٌ وأنَّهُ خيرُ خلقِ الله كلِّهمِ

---

(1) الديم: السحاب والرشف من الإرتشاف وهو الشرب بالفم.

(2) شكلة الحكم: الشكلة: الإعراب.

(3) النسم: جمع نسمة وهي الروح.

(4) دراس الرمم: الرمم الدارسة الهالكة والرمم جمع رمة وهي جثة الميت بعد تآكلها.

(5) لم نهمِ: من الهيام وهو الضياع.

(6) أمم: القرب.

وكلٌّ آيٍ أتى الرسْلُ الكرامُ بها ... فإنَّما اتَّصلتْ من نورِهِ بهمِ

فإنَّهُ شَمْسُ فضلٍ هم كواكبُها ... يُظهرْنَ أنوارها للنَّاسِ في الظُلَمِ

أكرمْ بخَلْقِ نبي زانَهُ خُلُقٌ ... بالحُسْنِ مشتملٍ بالبِشْرِ مُتَّسِمِ[1]

كالبدرِ في شرفٍ.. والزَّهرِ في ترفٍ ... والبحرِ في كرمٍ والدَّهرِ في هِمَمِ

كأنه وهو فردٌ من جلالتهِ ... في عسكرٍ حين تلقاهُ وفي حَشَمِ

كأنما اللؤلؤُ المكنونَ في صَدَفٍ ... من معدني منطقٍ منه ومبتسمِ

لا طيبَ يعدلُ تراباً ضمَّ أعظُمَهُ ... طوبى لمنتشقٍ منه ومُلْتثمِ

---

(1) متسم: متصف من الوسم وهو العلامة.

الفصل الرابع

أبانَ مولِدُهُ عن طيبِ عُنْصُرِهِ ... ياطيبَ مبتدأ منه ومختَتَمِ

يومَ تفرَّسَ فيه الفرسُ أنهمُ ... قد أُنذِروا بحلولِ البؤسِ والنِّقَمِ

وباتَ إيوانُ كسرى وهو منصَدِعٌ ... كشملِ أصحابِ كسرَى غير ملتئمِ

والنارُ خامدةُ الأنفاسِ من أسَفٍ ... عليه.. والنهرُ سَاهي العينِ من سَدَمِ[1]

وساءَ ساوةَ[2] إن غاضتْ[3] بحيرتُها ... وَرُدَّ واردُها بالغيظِ حينَ ظمي

كأنَّ بالنارِ ما بالماء من بللٍ ... حزناً..وبالماءِ ما بالنار من ضرَمِ[4]

والجنُّ تهتِفُ والأنوارُ ساطعةٌ ... والحقُّ يَظهرُ من معنى ومِنْ كَلِمِ

عَمُوا وصمُّوا.. فإعلانُ البشائر لم ... تُسْمَعْ.. وبارِقَةُ الإنذارِ لم تُشَمِ[5]

من بعدِ ما أخبرَ الأقوامَ كاهنُهمُ ... بأنَّ دينَهم المِعْوَجَّ لمْ يَقُمِ

وبعدما عاينوا في الأفقِ من شُهُبٍ ... منقضَّةً وفقَ مافي الأرضِ من صَنَمِ

---

(1) سدم: حزن.

(2) ساوة: إشارة إلى بحيرة ساوة.

(3) غاضت: جفت.

(4) ضرم: اشتعال.

(5) لم تشم: لم تلاحظ.

حتى غدا عن طريقِ الوحيِ منهزمٌ ... من الشياطين يقفو إِثْرَ منهزِمِ

كأنَّهم هَرَباً أبطالُ أبرهةٍ[1] ... أو عسكرٌ بالحصى من راحتَيهِ رُمي[2]

نبذاً به بعدَ تسبيحٍ ببطنهما ... نبذَ المُسبِّحِ[3] في أحشاءِ مُلْتقِمِ

---

(1) أبطال أبرهة: أراد جيش أبرهة الذي جاء بقصد هدم البيت الحرام.

(2) أراد جيش حنين الذي ألقى عليه النبيﷺ الحصى:

{وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى}

(3) المسبح: أراد نبي الله يونس عليه السلام وهو يسبح في أحشاء الحوت.

جاءتْ لدعوتهِ الأشجارُ ساجدةً ... تمشي إليه على ساقٍ بلا قَدَمِ
كأنما سطَّرتْ سَطْراً لما كتبتْ ... فروعُها من بديعِ الخطِّ باللَّقَمِ[1]
مثلَ الغمامةِ أنَّى سارَ سائرةً ... تقيهِ حرَّ وطيسٍ[2] للهجيرِ[3] حَمي
أقسمتُ بالقمرِ المنشَقِّ أنَّ لَهُ ... من قلبِهِ نسبةً مبرورةَ القَسَمِ
وما حوى الغارُ من خيرٍ ومن كَرَمٍ ... وكلِّ طرفٍ من الكفار عنه عَمي
فالصدقُ في الغارِ والصديقُ لم يَرِما[4] ... وهم يقولونَ ما بالغار من أرِمِ[5]

---

(1) اللقم: وسط الطريق أراد أن الأشجار سجدت بين يديه حتى التصقت بالأرض كأنها خطوط مرسومة.
(2) الوطيس: التنور المشتعل.
(3) الهجير: حر الظهيرة.
(4) لم يرما: أصلها لم يريما أي لم يبرحا مكانهما من الروم.
(5) أرم: أثر.

ظنَّوا الحمامَ وظنُّوا العنكبوتَ على خير البريَّةِ لم تَنسُجْ ولم تحُمِ
وقايةُ اللهِ أغنتْ عن مضاعفَةٍ من الدروعِ وعن عالٍ من الأُطمِ
ما سامني[1] الدهرُ ضيماً واستجرتُ به إلا ونلتُ جِواراً منه لم يُضَمِ
ولا التمستُ غنى الدارينِ من يَدِهِ إلا استلمتُ النَّدى من خيرِ مُسْتَلَمِ
لا تنكرِ الوحيَ من رؤياه إنَّ له قلباً إذا نامتِ العينانِ لم ينمِ
وذاكَ حينَ بلوغٍ من نُبوَّتهِ فليسَ ينكرُ فيه حالُ محتلمِ
تباركَ الله ما وحيٌ بمكتسبٍ ولا نبيٌّ على غيبٍ بمتَّهمِ
كم أبرأتْ وصَبَاً[2] باللَّمسِ راحتُهُ وأطلقتْ أَرِباً[3] من رِبقةِ[4] اللَّمَمِ[5]
وأحيَتِ السَّنَةَ الشهباءَ[6] دعوتُهُ حتّى حَكَتْ غُرَّةً[7] في الأعصرِ الدُّهمِ

---

(1) ما أرادني بضر.
(2) وصباً: مريضاً.
(3) أرباً: معتوهاً.
(4) ربقة: قيد.
(5) اللمم: الحزن.
(6) السنة الشهباء: السنة الجدبة، والشهباء البيضاء.
(7) حكت غرة كل شيء أحسنه، والدُّهم: السود، لكثرة الخصب والخير، أراد بها دعوة النبي❐ غرة أعوام الخصب.

بعارضٍ جادَ[1] أو خِلْتَ البِطاحَ بها سيبٌ من اليمِّ أو سيلٌ من العَرِمِ

---

(1) بعارض جاد: بسحاب عارض جاد بالغيث تحسب الصحراء من شدة غزارته سيباً أي قناة سائبة من البحر أو سيلاً من العرم وهو السيل الذي سلط على سد سبأ فدمره (أو) في البيت بمعنى: إلى أن.

دعني وَوَصْفيَ آياتٍ له ظهرتْ ... ظهورَ نارِ القِرى ليلاً على عَلَمِ
فالدّرُّ يزداد حسناً وهو منتظِمٌ ... وليسَ ينقُصُ قدراً غيرَ منتظِمِ
فما تطاولُ[1] آمالي المديحَ إلى ... ما فيه من كَرَمِ الأخلاقِ والشيمِ؟
آياتُ حقٍ من الرحمنِ محدثةٌ ... قديمةٌ صفةَ الموصوفِ بالقدمِ
لم تقترنْ بزمانٍ وهي تخبرُنا ... عن المعادِ وعن عادٍ وعن إرَمِ
دامتْ لدينا ففاقت كلَّ معجزةٍ ... من النبيينَ إذ جاءتْ ولم تدُمِ
محكَّماتٌ فما تبقين من شُبَهٍ ... لذي شقاقٍ وما تبغينَ من حَكَمِ
ما حوربتْ قطُّ إلا عادَ من حَرَبٍ ... أعدى الأعادي إليها مُلْقيَ السَّلَمِ
ردَّتْ بلاغتُها دعوى معارِضِها ... ردَّ الغيورِ يَدَ الجاني عن الحَرَمِ
لها معانٍ كموجِ البحرِ في مَدَدٍ ... وفوقَ جوهرِهِ في الحُسْنِ والقيَمِ

---

(1) ما: استفهامية أراد لماذا تطاول آمالي إلى مدح مقامه، وهي دونه قاصرة كليلة.

فما تعدُّ ولا تحصى عجائبُها ... ولا تُسامُ[1] على الإكثارِ بالسَّأَمِ[2]
قرَّتْ بها عينُ قاريْها فقلتُ لَهُ ... لقد ظفرتَ بحبلِ اللهِ فاعتصمِ
إن تتلُها خيفةً من حرِّ نارِ لظى ... أطفأتَ نار لظىً من وِرْدِها الشَّبِمِ[3]
كأنها الحوضُ تبيضُّ الوجوهُ به ... من العصاةِ وقد جاؤوهُ كالحِمَمِ
وكالصراطِ وكالميزانِ معدِلَةً ... فالقسطُ من غيرها في النَّاسِ لم يَقُمِ

لاتعجبنْ لحسودٍ راح ينكرُها تجاهلاً وهو عينُ الحاذِقِ الفَهِمِ

قد تنكرُ العينُ ضوءَ الشمسِ من رَمَدٍ وينكرُ الفمُ طعمَ الماءِ من سَقَمِ

---

(1) لا تُسامُ: لا توصف.

(2) السأم: الملل.

(3) وردها الشبم: مائها البارد.

ياخيرَ من يَمَّمَ العافونَ[1] ساحتَهُ ... سعياً وفوقَ مُتونِ الأَيْنُقِ الرُّسُمِ[2]
ومن هو الآيةُ الكبرى لمعتبرٍ ... ومن هو النِّعمةُ العُظْمَى لمغتنمِ
سَريتَ من حرمٍ ليلاً إلى حَرَمٍ ... كما سرى البدرُ في داجِ الظُّلَمِ
وبتَّ ترقى إلى أن نلتَ منزلةً ... من قابِ قوسينِ لم تُدْرَكْ ولم تُرَمِ
وقدمتْكَ جميعُ الأنبياءِ بها ... والرُّسلِ تقديمَ مخدومٍ على خدَمِ
وأنتَ تخترقُ السَّبْعَ الطِّباقَ بهم ... في موكبٍ كنتَ فيه صاحبَ العَلَمِ
حتى إذا لم تدعُ شأواً[3] لمُستَبِقٍ ... من الدُّنُوِّ ولا مرقىً لمستنمِ[4]
خفَّضْتَ كلَّ مقامٍ بالإضافةِ إذ ... نُوديت بالرَّفعِ مثل المفردِ العَلَمِ
كيما تفوزَ بوصلٍ أيِّ مستَتِرٍ[5] ... عن العيونِ وسرٍّ أيِّ مكتَتَمِ

---

(1) العافون: السائلون.

(2) متون الأينق الرسم. ظهور النوق السريعة.

(3) شأواً المستبق: منزلة لأحد يسابقك.

(4) مستنم: متسلق.

(5) أي مستتر: بالغ الاستتار. وأي مكتتم: بالغ الكتمان.

فحُزتَ كل فخارٍ غيرَ مشترِكٍ وجزتَ كلَّ مقامٍ غيرَ مزدحِمِ

وجلَّ مقدارُ ما وُلِّيْتَ من رُتَبٍ وعزَّ إدراكُ ما أُوليتَ من نِعَمِ

بشرى لنا معشرَ الإسلامِ.. إنَّ لنا من العنايةِ ركناً غيرَ منهَدِمِ

الفصل الثامن

راعتْ قلوبَ العدا أنباءُ بعثَتِهِ ... كنبأةٍ أجفلتْ غُفْلاً من الغنَمِ[1]

مازالَ يلقاهمُ في كلِّ مُعْتَرَكٍ ... حتى حكوا بالقنا لَحْماً على وضَمِ[2]

ودُّوا الفرارَ فكادوا يغبطونَ به ... أشلاءَ شالَت[3] مع العُقبانِ والرُّخُمِ[4]

تمضي الليالي ولا يدرونَ عدَّتها ... ما لم تكنْ من ليالي الأشهرِ الحُرُمِ

كأنما الدِّينُ ضيفٌ حلَّ ساحَتَهُمْ ... بكلِّ قَرْمٍ[5] إلى لحمِ العِدا قَرِمِ[6]

---

(1) غفلاً من الغنم: الأغنام الغافلة.

(2) حكوا بالقنا لحماً على وضم: أصبحت لحومهم على أطراف الرماح (القنا) كأنها لحم يشوى على وضم وهو السيخ الذي يشوى عليه اللحم.

(3) شالت: رُفعت.

(4) العقبان: جمع عُقاب، وهو طير جارح، والرخم: جمع رخمة وهو نوع من الطير مشهور بالمباغتة.

(5) قَرْم: هو البعير يخصص للنزو فلا يكلف بشيء.

(6) قَرِم: شديد الشهوة للَّحم.

يجرَّ بحرَ خميسٍ[1] فوقَ سابحةٍ[2] ... يرمي بموجٍ من الأبطالِ ملتطِمِ

من كلِّ منتدبٍ لله محتسبٍ ... يسطو بمستأصِلٍ للكفرِ مصطَلِمِ[3]

حتى غدتْ ملةُ الإسلامِ وهي بهم ... من بعدِ غُربتها موصولةَ الرَّحِمِ

مَكْفولةً أبداً منهم بخيرِ أبٍ ... وخير بعلٍ فلم تَيْتَم ولم تَئِمِ[4]

هم الجبالُ فسلْ عنهم مصادِمَهم ... ماذا رأى منهمُ في كلِّ مصطَدَمِ

وسَلْ حنيناً.. وسلْ بدراً.. وسلْ أحداً ... فصولَ حتفٍ[5] لهم أدهى من الوَخَمِ[6]

المصدري البيضِ[7] حمراً بعدما وَرَدَتْ ... من العِدا كلَّ مُسوَدٍّ من اللَّمَمِ[8]

(1) بحر خميس: جيشاً كالبحر، وسمي الجيش خميساً لأنه تخمس فيه الغنائم.

(2) سابحة: فرس أصيلة.

(3) يسطو بمستأصل للكفر مصطلم: أراد أنه يسطو على الأعداء، بالسيف الذي يستأصل الكفر وعبّر عن بريق السيف بالاصطلام وهو الاشتعال.

(4) لم ييتم: من اليتم، ولم تئم من الأيم وهو فقد المرأة بعلها.

(5) فصول حتف: دروس موت.

(6) الوخم: الموت.

(7) المصدري البيض: السيوف البيض، أراد أنهم يدخلونها في الأعادي بيضاً ويخرجونها منهم حمراً.

(8) اللمم: شعر الرأس الوافر إذا جاوز الأذنين.

والكاتبينَ بسُمْرِ[1] الخطِّ.. ماتركتْ أقلامُهم حرفَ جسمٍ غير منعجمِ[2]

شاكي السلاحِ[3] لهم سيما تُميِّزُهم والوَردُ يمتاز بالسيما[4] من السَّلَمِ[5]

تهدي إليك رياحُ النصرِ نشرَهُمُ فتحسبُ الزهرَ في الأكمامِ[6] كلَّ كمِي[7]

كأنهم في ظهورِ الخيلِ نبتُ رُبَاً من شدةِ الحزمِ لا من شدة الحُزُمِ[8]

طارتْ قلوبُ العدا من بأسِهم فرقاً فما تفرِّقُ بين البَهْم و البُهُمِ[9]

ومن تكنْ برسولِ الله نصرتُهُ إن تلقَهُ الأسْدُ في آجامِها تَجِمِ[10]

ولن ترى من وليٍّ غير منتصرٍ به ولا من عدوٍ غيرِ منقَصِمِ

أحلَّ أمتَه في حرزِ ملتِهِ كاللَّيْثِ حلَّ مع الأشبالِ في أَجَمِ[11]

---

(1) سمر الخط: أراد بها الرماح.

(2) منعجم: غير معروف، أراد أنهم بعد أن تصيبهم رماح المسلمين لاتعرف أشكالهم.

(3) شاكي السلاح: يظهرون سلاحهم، والشكوى بالشيء إظهاره.

(4) السيما: العلامة.

(5) السلم: نوع من العيدان لاثمر فيه ولا زهر له.

(6) الأكمام: الطلع في الشجر.

(7) كمي: مفرد أكمام.

(8) الحزُم: الربط.

(9) البَهم والبُهم: البَهم الأولى: جمع بهمة وهي الشاة، والبُهُم هي الليالي السود.

(10) آجامها: جمع أجمة وهي مسكن الأسود، وتجم: من الوجوم وهوالحيرة مع الفزع.

(11) الأجم جمع أجمة أيضاً (صيغة أخرى في الجمع).

كم جدَّلَتْ[1] كلماتُ اللهِ من جَدِلٍ فيه.. وكم خصَمَ البرهانُ من خَصِمِ[2]

كفاكَ بالعلمِ في الأميِّ معجزةً في الجاهليةِ والتأديبِ في اليُتُمِ

(1) جدَّلت: قصمت وأفحمت، وجَدل: رجل مجادل مكابر.
(2) خَصِم: مخاصم مكابر.

الفصل التاسع

خدمته بمديحٍ أستقيلُ[1] به ... ذنوبَ عُمْرٍ مَضَى في الشِّعْرِ والخَدَمِ
إذ قلَّدانيَ ما تخشى عواقِبُهُ ... كأنني بهما هديٌ[2] من النَّعَمِ
أطَعْتُ غيَّ الصبا في الحالتينِ وما ... حَصَلت إلا على الآثامِ والنَّدَمِ
فيا خسارةَ نفسٍ في تجارتِها ... لم تشترِ الدِّينَ بالدنيا ولم تَسُمِ
ومن يبِعْ أجِلاً منه بعاجِلهِ ... يَبنْ له الغبن[3] في بيعٍ وفي سَلَمِ[4]
إن آتِ ذَنباً فما عهديْ بمنتقضٍ ... من النَّبيّ ولا حَبْلي بمنصَرِمِ[5]
فإنَّ لي ذمَةً منه بتسميتي ... محمداً.. وهو أوفى الخَلْقِ بالذِّمَمِ

إن لم يكنْ في معادي آخذاً بيدي ... فضلاً وإلا فقلْ يا زَلَّةَ القَدَمِ

حاشاه أن يُحْرِمَ الرَّاجي مكارمَه ... أو يُرْجِعَ الجارُ منه غيرَ مُحتَرَمِ

ومنذ ألزمتُ أفكاري مدائحَهُ ... وجدتُه لخلاصي خيرَ مُلْتزِمِ

---

(1) أستقبل: أطلب به الإقالة والعفو.

(2) هدي: ما يهدي إلى قفراء الحرم من الأغنام والبقر والإبل.

(3) الغبن: الخسارة.

(4) السلم: نوع من البيع لأجل أقره الشارع.

(5) منصرم: منقطع.

ولن يفوتَ الغنى منه يداً تَرِبَتْ[1] إن الحيا[2] يُنبتُ الأزهارَ في الأَكَمِ[3]

ولم أردْ زهْرةَ الدنيا التي اقتطَفَتْ يدَا زُهيرٍ[4] بما أثنى على هَرِمِ[5]

---

(1) تربت: لصقت بالتراب.

(2) الحيا: المطر.

(3) الأكم: رؤوس الجبال.

(4) أراد الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى الذي مدح هرم بن سنان ابتغاء نواله.

(5) هرم: هو هرم بن سنان، أحد أجواد العرب في الجاهلية، وهو الذي أصلح بين عبس وذبيان، وفدى قتلاهما.

يا أكرمَ الخلقِ مالي مَنْ ألوذُ بهِ ... سواكَ عند حلولِ الحادثِ العَمِمِ

ولن يضيقَ رسولُ الله جاهُكَ بي ... إذا الكريمُ تجلى باسم مُنتَقِمِ

فإنَّ من جودِكَ الدنيا وضَرَّتَها[1] ... ومن علومِك علمُ اللوحِ والقلمِ

يانفسُ لا تقنطي من زَلَّةٍ عظُمَتْ ... إنَّ الكبائرَ في الغفرانِ كاللَّممِ[2]

لعلَّ رحمةَ ربي حينَ يقسِمُها ... تأتي على حَسَبِ العصيانِ في القِسَمِ

ياربِّ واجعلْ رجائي غيرَ منعكسٍ ... لديكَ واجعلْ حسابي غيرَ منخَرِمِ[3]

والطفْ بعبدكَ في الدارين إنَّ له ... صبراً متى تدعُه الأهوالُ ينهزِمِ

وَأْذَنْ لِسُحبِ صلاةٍ منك دائمةٍ ... على النَّبيِّ بمنهلٍّ ومنسَجِمِ

ما رنَّحتْ[4] عذباتِ البانِ[5] ريحُ صَباً[6] ... وأطْرَبَ العيسَ حادي العيسِ[7] بالنَّغَمِ

---

(1) ضرتها: أراد الآخرة أي قرينتها، ولا بد من التحفظ في هذا البيت.

(2) اللمم: صغائر الذنوب.

(3) منخرم: مثقوب.

(4) رنحت: هزَّت.

(5) عذبات البان: أغصان شجر البان وهو من شجر المدينة.

(6) ريح صبا: ريح تهب من الشرق باتجاه الحجاز كان العرب يفرحون بها ويقال إنها تشتاق إلى البيت الحرام.

(7) حادي العيس: المنشد ينشد في قوافل المسافرين. والعيس: الإبل.

[ثم الرِّضا عن أبي بكرٍ وعن عمرِ وعن عليٍّ وعن عثمانَ ذي الكرَمِ
والآلِ والصَّحبِ ثمَّ التَّابعين فَهُمْ أهلُ التُّقى والنَّقى والحِلْمِ والكَرَمِ
ياربِّ بالمصطفى بلِّغْ مقاصدنا واغفر لنا مامضى يا واسعَ الكَرَمِ
واغفرْ إلهي لكلِّ المسلمين بما يتلوه في المسجِدِ الأقصى وفي الحرَمِ
بجاهِ من بيتُه في طيبةٍ حَرَمٌ واسمُه قَسَمٌ من أعظمِ القَسَمِ
وهذه بردةُ المختارِ قد خُتِمتْ والحمدُ للهِ في بدءٍ وفي خَتمِ
أبياتُها قد أتتْ ستينَ مَع مائةٍ فَرَّجْ بها كَرْبَنا يا واسعَ الكرَمِ][1]

---

(1) مابين قوسين من صنع بعض المتأخرين، وقد نسبوه إلى البوصيري ولم نجده في ديوانه وهو أضعف من أسلوب البوصيري، ثم إنه يتعارض مع نفسه، إذ يقول: أبياتها قد أتت ستين مع مائة، وهي كذلك لولا هذه الزيادة!!.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مدخل	5
هذه المخطوطة	11
التعريف بالشاعر	15
قراءة في تاريخ الكفاح الإسلامي في داغستان	29
القضية الشيشانية	39
قصيدة الأزهار الروية في المدائح النبوية	66
الأشواق والترياق	109
الأشواق والمزامير	119
ملحق خاص	126
قصيدة بردة المديح	128
الفهرس	